دكتور عادل صادق

أستاذ الأمراض النفسية والعصبية
بجامعة عين شمس

حكايات نفسية

• الجزء الثانى



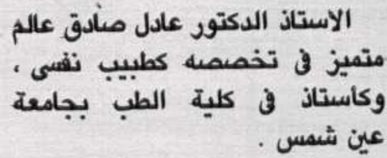


سكرتير تحرير تنفيذى
والرسوم الداخلية

● محمد عفت

مؤلف هذا الكتاب

دكتور



عادل صادق

الأستاذ الدكتور عادل صادق عالم متميز فى تخصصه كطبيب نفسى ، وكأستاذ فى كلية الطب بجامعة عين شمس .

حصل على أكبر عدد من الشهادات فى هذا التخصص ، كما حصل على تقدير الجمعيات العالمية فى الطب النفسى . وكان آخرها شهادة الزمالة من الكلية الملكية البريطانية للأطباء النفسيين . بعد حصوله فى العام الماضى على شهادة الزمالة من الجمعية الأمريكية للطب النفسى . . بالاضافة إلى خبرته التى جمعها على مدى ثمانية عشر عاما ليقدمها كل يوم إلى تلاميذه الذين يحصون اليوم بالآلاف ، كما تخصص على يديه العشرات ممن يحملون الآن شهادات الماجستير والدكتوراه فى الطب النفسى .

وللأستاذ الدكتور عادل صادق خمسون بحثا فى مجالات الطب النفسى المختلفة . . نشرتها المجلات العلمب المصرية والعالمية .

وألقى للعديد منها فى المؤتمرات العلمية الدولية ، ولتى يحرص على حضورها فى أى مكان بالعالم .

. . وأخير هذا هو الكتاب الرابع الذى نقدمه من خلال سلسلة « كتاب اليوم » . . وبالنسبة له هو كتابه السادس . ودائما تلاقى كتبه النجاح الجماهيرى ولدى المنصن . انه يقدم مادته بأسلوب صادق يصل إلى قلب قارئه وعقله .

« كتاب اليوم »

تقـــديم ○ ○

● لدينا جهاز نستطيع به قياس ضغط الدم . . لدينا سماعة نستطيع بها أن نتصنت على القلب . . لدينا أجهزة نستطيع بها أن نرى كل أعضاء الجسم الداخلية . . لدينا ميكروسكوب نستطيع به أن نرى أدق خلايا الجسم . . لدينا وسائل معملية نستطيع بها أن نعرف مكونات كل سوائل الجسم . .

● ولكن ليس لدينا أجهزة نقرأ بها أفكار الانسان أو نكشف عن عواطفه . . الوسيلة الوحيدة هي الحوار والمشاعر وليس الأجهزة . .

اذا أردت أن تتعرف على أفكار انسان فلابد أن تجرى معه حوارا . .

واذا أردت أن تنفذ الى عواطف انسان فلابد أن يكون لك مشاعر . .

● وهذا معناه التواصل . . العلاقة بين إنسان وإنسان . . الاقتراب والاهتمام والتفاعل . .

وهذا معناه التعاطف والتناغم . . أن تشعر من أجله وأن تشعر معه . . أن تتألم من أجله وأن تتألم معه . . أن تفكر من أجله وأن تفكر معه . .

واذا إستطعت أن تقيم ولو علاقة واحدة مع إنسان على هذا المستوى فلقد حققت المعنى من وجودك كإنسان . . وإذا لم تستطع فأنت تعيش على هامش الحياة . . لا تشعر بالناس وهم لا يشعرون بك . .

وما أفظع أن تعيش معزولا عن قلوب الناس وعقولهم . . ذلك هو العذاب الحقيقى . . فكل آلام العالم تهون اذا وجدت إنسانا يتألم معك ومن أجلك . . وكل هموم العالم تهون إذا وجدت إنسانا يفكر معك ومن أجلك . .

إذا لم تكن قد فتحت قلبك وعقلك على الناس لتتواصل معهم ، فإن هذا الكتاب قد يأخذ بيدك . .

إننى اهديه الى قلبك وعقلك . . حاول ان تتصور نفسك مكان إحدى الشخصيات التى شرحت حالتها فى هذا الكتاب ، وانت تتحمل وحدك هول الاعراض التى تعانيها ، ولا احد من حولك يفهم او يحاول ان يفهم ولا احد من حولك يقدر او يحاول ان يقدر . . ولا احد من حولك يشعر ويتالم معك ، او حتى يحاول ان يتعاطف . .

● قد تندهش ان هناك بشرا يعانون من مثل هذه الحالات . . قد تتحسس راسك او تحاول ان تحتويها وكانك تحميها من ان تصاب بمثل ما اصيبوا . .

● قد تسال كيف ولماذا اصيبوا . . ؟

● قد يهمك ان تعرف كيفية الوقاية وما العلاج

● وقد يوجعك قلبك من اجلهم

وهنا اعتبر نفسى قد نجحت . . نجحت فى استدراج عواطفك لتتالم مع ومن اجل إنسان آخر . . إنسان مثلك ومثلى يعيش بيننا يعانى من قسوة المرض ويعانى اكثر من ماساة . . ان لا احد يفهم او يتعاطف . .

● حكايات هذا الكتاب ليست عادية . . انها من أغرب الحالات النفسيه . . وهى بذلك تختلف عن الحكايات التى جاءت فى الكتاب الأول

الكتاب الأول كان يصف حالات مرضية واضحة وشائعة ، لا تضل طريقها الى العلاج . . إما ان يطلب المريض العلاج بنفسه إذا كان مستبصرا بحالته ، واما يطلبه له المحيطون به إذا تاثرت حياتهم باعراضه . .

اما حالات هذا الكتاب فهى مختلفة . . فحتى الآن لم تصنف فى كتب الطب النفسى مع الأمراض . . لشدة غرابة الحالة فإن صاحبها فى البدايه يندهش . . إنه الاندهاش المؤلم لان هناك معاناة . . فالامر غريب ومثير . . خبرة مؤلمه لم يعهدها من قبل ، ولا يتصور ان هناك احدا مثله يشعر بمثل ما يشعر . . ولذا فهو يخفى اغراضه عن كل الناس . . يخشى ان يصفوه بالجنون او يخشى الا يصدقوه . . يطوى المه فى صدره ، ويصبح الاستمرار فى الحياة عذابا لا يطاق

ن يصدق أن إنسانا يندهش من نفسه . . يشعر أنه غريب عن نفسه . .
يضع الى المرآة فيشعر أن الصورة التى يراها امامه غريبة عنه .

وذلك الانسان الآخر الذى يندهش من العالم المحيط به . . يندهش من أقرب الناس اليه . . هؤلاء الناس يعرفهم جيدا وعاش معهم كل عمره ورغم ذلك يراهم غرباء عنه . .

وذلك الانسان الذى يذهب الى مكان لأول مرة فيشعر أنه زار هذا المكان من قبل . .

إنه يعرفه جيدا بالرغم من انه لم يره فى حياته . . يعرف هؤلاء الناس . . بل أن هذا الحديث الدائر معهم الآن قد سمعه قبل ذلك . .

ثم ذلك الانسان الذى يرى وجهه قبيحا . . يرى أن هناك عيبا جسيما فى انفه او شفتيه او فى اى جزء من جسمه ، وانه لابد من إجراء جراحة تجميل . . بالرغم من تاكيدات الآخرين ان شكله طبيعى . .

وهناك الانسان الذى يدمر حياته ماديا وأسريا من خلال لعب القمار . . ولكنه لا يستطيع ان يقاوم وكأنه ينتقم من نفسه . .

وتلك الحالة التى تعانى من السمنة الزائدة ولكنها تظل تاكل وتاكل وتفشل كل محاولاتها لانقاص وزنها . . بل تعانى من الاكتئاب الشديد إذا نجح الرجيم الذى تتبعه . .

والعكس تماما حينما تمتنع حالة اخرى عن الطعام ، بالرغم من نحافتها الزائدة ، وذلك لانها ترى نفسها متضخمة . .

وتلك الفتاة الجميلة التى تصيبها رغبة قهرية فى نزع شعر رأسها حتى تفقد معظمه ويتشوه شكلها أو تتعمد تشويه وجهها باظافرها . .

وحكاية ذلك الانسان الذى يرى نفسه اثنين وكانه ينظر فى مرآة بالرغم من عدم وجود مرآة . . إنه يرى إنسانا آخر هو ذاته يمشى بجواره ويقوم بنفس حركاته . .

وعكس تلك الحالة حين يرى انه نفق ، وان جسده قد إختفى . . ويسمى نفسه صفرا لأنه اصبح لا شىء . .

وتلك السيدة الثرية التى تستطيع ان تقتنى كل شىء ورغم ذلك فإنها تقوم بسرقة اشياء تافهة لاتحتاج اليها . . ولكنها لا تستطيع أن تقاوم رغبتها فى الاعتداء على اشياء الآخرين . .

وتلك الفتاة التى تعتقد ان رجلا مشهورا قد وقع فى غرامها ـ بالرغم من انه لا يعرف عنها شيئا ـ وتقوم بمطاردته وتعرض سمعته وربما حياته للخطر . .

وذلك الانسان الذى تصيبه حالة نكوص ويعود طفلا يخطىء فى إجراء عملية حسابية بسيطة . .

وحالة ذلك الرجل الذى يشك فى زوجته بل يكون على يقين من خيانتها ـ بالرغم من براءتها ـ ويحول حياتها الى عذاب وحياته الى فشل . .

ثم حالة ذلك الانسان الذى يعتقد ان اقرب الناس اليه قد إستبدل باخرين . . فذلك الرجل ليس زوجى بل هو شخص آخر يشبهه إحتل مكانه ويفرض على ان اعامله كزوجة . .

● هل كنت تتصور كل هذه الألوان من المعاناة . .

الا توافقنى ان اولى درجات رفع المعاناة عنهم ان نشعر بهم . . أن نفهم . . ان نقترب بمشاعرنا وافكارنا منهم . . يكفى فى البداية ان تقول لصاحب هذه الحالة إننى ادرك معاناتك وافهمها . . والأروع أن تقول له ـ بصدق ـ إننى اتالم معك . . وبعد ذلك فليوفق الله فى العلاج . .

مرة ثانية اقول اننا لم نخترع بعد اجهزة للكشف عن هذه الحالات . . ولكن فى حقيقة الأمر نملك فى داخلنا اعظم جهاز من صنع الله ـ للغوص فى اعماقهم ومعرفة قدر آلامهم : إنه القلب . .

فقط عليه انه ينبض بالحب . . حب الانسان للانسان . .

● د . عادل صادق

● الفصل الأول ●

● اختلال « الآنية »

عندما يفقد الانسان نفسه !



● ● اغيثينى يا نفسى . . اين انت . . اين تسربت كما تتسرب المياه من بين اصابع يد منفرجة . . كيف خرجت منى . . ام انا الذى خرجت منك ؟ . . هل سامتنى ام انا الذى سامتك . ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله . . هل هذا معقول . . هل معقول ان يفقد الانسان نفسه . . من اكون انا بدونك اذن . ؟

صدقونى اننى لا اعرف اذا كنت ميتا او حيا فى هذه اللحظة .

من يستطيع ان يخبرنى كيف يشعر الانسان الميت . . يا لهول الاحساس . . الكون قد مت فعلا . ؟ غير معقول ! ! ما زال صدرى يعلو ويهبط ليجلب لى اكسجين الحياة . . علامة الموت ان يمنع الاكسجين من العبور الى الرئتين . . ما زال قلبى يخفق بهلع ليدفع بالدماء الى ذرات جسدى المضطرب . . علامة الموت صمت القلوب . ما زال الاحياء يعترفون بوجودى . . عيونهم ترصدنى ككائن حى يسعى بينهم . . إذا تحركت . . تحركت عيونهم فى اتجاهى . . حركة عيون الآخرين شهادة حياة . .

اذن . . اذن انا حى . . هكذا تؤكد الرئتان والقلب وعيون الآخرين . . انا حى معناها اننى . . اننى لست ميتا . . اى اننى لم اتحول بعد الى مادة عضوية ساكنة تتحلل بفعل التراب والهواء . . لو اننى غمرت نفسى فى التراب الآن فلن اتحلل . . اى اننى لن انتهى الى ذرات تتطاير بفعل نفخة هواء من فم طفل يعبث . . ذراتى اذن متماسكة نابضة لا تقوى عليها رياح عاتيه .

إذن من أكون ؟ . . من انا . . ؟ من انا ! ! هل هذا سؤال . . ؟ هل يوجد انسان على وجه الأرض يسال مثل سؤالى هذا . ؟

ولكن هذه هى الحقيقة . . بكل اسف هذه هى الحقيقة . . انا غريب عن ذاتى . . انا غريب عن انا . . انا اندهش « لأنا » هذه . . بينى وبينها مسافة . . نحن اثنان وليس شيئا واحدا . . دليلى المرآة . . انا الآن اقف امام المرآة ولا احد بجانبى او خلفى او امامى . . او فوقى او تحتى . . وهناك صورة لانسان داخل المرآة . . هذا الانسان يحمل نفس ملامحى ونفس ملابسى . . طبق الاصل . . انا ارفع يدى الآن وهو يرفع يده بالمثل . . احرك وجهى فياتى هو بنفس الحركات . . المنطق يقول ان ما بداخل المرآة هو انا . . عقلى يؤكد هذا . . ولكن الحقيقة انا اشعر بغير ذلك . . الانسان الذى يقف أمامى الآن داخل المرآة هو ليس انا . . ماذا لو قمت بقتل نفسى الآن . . فهل سيختفى ذلك الانسان الذى يقف بداخل المرآة . . ؟ بالقطع لن يختفى . . فهو شيء وانا شيء آخر . .

ما اسخف ان يكون لنا عقل . . ما اسخف ان يختلف العقل مع الاحساس . . عقلى يؤكد شيئا . . واحساسى يؤكد شيئا آخر . . ما اسعد من فقد عقله وبقيت له أحاسيسه . . وما اسعد من فقد أحاسيسه وبقى عقله . .

يقولون ان الانسان السليم نفسيا هو من انسجم تفكيره مع عواطفه . . اذن أنا مريض . . تفكيرى هجر عواطفى فهجرتنى نفسى . . اين انت يا نفسى . . ؟ من يجمع شملى مع نفسى . . افقد ذراعى وتعود الى نفسى . . افقد عينى وتعود الى نفسى . . ادفع اى شيء من أجل استرداد نفسى . . عينى وساقى وذراعى . . اى شيء من أجل أن اتوحد مرة أخرى مع نفسى . .

أمشى فى الشارع فأرى كل انسان يمشى وبداخله نفسه . . يحتويها وتحتويه . . امتزجت النفس مع الخلايا فكان العشق الذى يمنح الانسان سعادة الاحساس بوجوده . . اما انا فقد انتزعت نفسى من خلايا جسدى فكان بؤسى عدم الاحساس بوجودى . . او بوجودى المبعثر المشتت المنشطر . .

حتى يدى ارفعها امام عينى اندهش لها . . يد من هذه ؟ . . يقول عقلى انها يدى انا . . ينتفض احساسى مندهشا رافضا متألما ويسأل عقلى : تقول يد من ؟ ؟ . . فيجيب عقلى : اقول يدى انا . . فينتفض احساسى مندهشا رافضا متألما لأن يدى هذه غريبة عن « انا » . . وكأن يدى ترفض ان تكون تابعة لأنا او انا ترفض ان تكون هذه يدها .

ثم اتأمل كل جسدى . . جزءا جزءا . . ثم استجمعه بكل اجزائه . . فأجد انه منفصل عن انا . . وكأنه ليس جسدى . . اندهش . . اندهش انى انا اعيش داخل هذا الجسد

فتنسدل كل الستائر القاتمة وأحس بعتامة مقبضة . . وفى هذه اللحظة اتمنى الموت . . الموت خلاصا من التمزق . . انه الاندهاش المؤلم الذى يبعث على الاكتئاب بعد أن هدنى من الفزع

فى مرة كنت اقود سيارتى فى شارع اختنقت أرضه وهواءه بسيارات زاحفة بأسلوب عدوانى . . دفعت بسيارتى إلى اقصى اليمين بمحاذاة رصيف اختنق هو ايضا بأجساد متعثرة متصادمة فزاد ذلك من اختناقى حيث كان يلازمنى الاندهاش من ذلك الجالس على مقعد القيادة فى سيارتى وتحركها مثلما تتحرك بقية السيارات فأحسست أننى فى الجحيم . . توقفت حين توقف الركب أمامى . . وطال الانتظار . فأطللت برأسى من نافذتى اليسرى . . لمحت شيئا يزحف على الأرض لم يطاول مستوى النافذة . . كان انسانا فقد نصفه الاسفل وذراعه اليسرى . . استقر على مربع خشبى يدفع عجلاته الى الأمام بتثبيت يده المتبقية على الأرض . . أوقف مربعه ورفع يده لى فوصلت الى حد الشباك . . أخرجت من جيبى مبلغا من المال وقبل أن اعطيه له سألته من أنت . . اجاب اسمى حسن . . قلت له اسم من هذا . ؟ قال : اسمى انا . . قلت : يعنى حسن هو أنت . . ؟

نظر الرجل باندهاش ولم يجب . . قلت : اقصد هل انت متأكد أنك أنت وحسن حاجة واحدة .

يئس الرجل منى وثبت مجدافه على الأرض فتحرك مربعه الخشبى الى الأمام . . فمددت يدى بالنقود مناديا فرجع الى الوراء ورفع يده آخذا النقود . . نظرت اليه باستعطاف : ارجوك اسمعنى . . تعجب الرجل من ضعفى فاعطانى اهتمامه . . قلت له : يعنى انت مش حاسس انك غريب عن نفسك . . يعنى حسن ده زى ما يكون مش انت ؟ فجأة ضحك الرجل بصوت عال يجزم بخلو قلبه من الهموم . . وانطلق بين السيارات المتلاصقة . . تمنيت فى هذه اللحظة ان تنبت له ساقان ويد ويقفز الى مقعد سيارتى ويبادلنى بمربعه الخشبى بعد ان افقد ساقى ويدى بشرط ان اشعر ان حسن وانا شىء واحد

اعود بذكرتى الى ما قبل بدء الحالة . . اتذكر كل مشاكلى فاجدها تافهة ضئيلة امام ما اشعر به الآن . . كل مشاكل الدنيا وصعابها تهون امام ان تشعر انك لست انت . . انك مختلف . . ان تغيرا ما قد اصابك

الآن استطيع ان اضع تعريفا للسعادة . . السعادة ان تشعر انك نفسك . . ان تشعر بذاتك فتدرك وجودك . . ان تكون هناك الفة بينك وبين نفسك . ما اسوأ ان تشعر بالاغتراب عن نفسك . . اتصوره اسوأ احساس يمر بانسان . . السعادة ان تكون واحدا . . ملموسا متواصلا . . الالتحام بين جسمك ونفسك . . الالتحام بين امسك ويومك . . حاضرك استمرار لماضيك . . تلتفت الى الماضى فترى ذاتك كما تراها اليوم . . انت انت لم تتغير . . تصوروا اننى حينما احاول اتذكر اشياء من الماضى اشعر وكاننى استرجع ذكريات انسان آخر غريب عنى . . هرعت الى البوم صورى . . فرأيت صورا لانسان يشبهنى شكلا ولكنه لست انا . . انسان لا تربطنى به صلة . . انسلخ منى الماضى انسلخت افكارى وذكرياتى وعواطفى . . فاصبحت لا تخصنى وحين ينفصل حاضرك عن ماضيك يصبح حاضرك بلا معنى . . معنى اللحظة تستمد من اللحظة السابقة لها . . وحين تفقد اللحظة معناها

تفقد الاحساس بالزمن . . وبالتالى تفقد الاحساس بالحياة . . فالميت لا زمن له . . او لا ضرورة للزمن عند الميت . . الزمن معنى . . والمعنى هو شحنات فكرية ووجدانية . . انت تعيش اللحظة بعقلك وقلبك . . اى بفكرك وعواطفك . . فاذا مرت لحظة بلا فكر وعواطف فهى لم تمر . . انها حالة من التوقف . . وبذلك لا يكون هناك ماض . . ولن يكون هناك مستقبل . .

هل الآلة الصماء تدرك الزمن . . ؟ بالطبع لا . . إذن انا كالآلة الصماء . . استطيع ان اشبه نفسى اننى كالعرائس الخشبية التى تحركها يد على المسرح . . تتحرك وتتكلم ولكنها لا تدرك حركاتها وكلامها . .

انا الحى الميت . . انا الحى . . لأن قلبى ينبض وصدرى يعلو ويهبط . . وانا الميت لأنه لا معنى للزمن عندى . . لا معنى للحظاتى . . لا معنى لوجودى . . كيف اعمل اذن . . كيف اتفاعل واعيش مع الناس . . كيف احب واكره واغضب واتسامح . . كيف افعل كل هذا وانا لست انا . .

ضقت بجسدى الذى أصبح غريبا عنى . . ضقت بنفسى التى أصبحت غريبة عنى . . ضاعت الألفة بين جسدى ونفسى . . فأراد كل منهما ان يدمر الآخر . . ادركت الآن معنى الكلمة العظيمة « الألفة » الألفة هى الحب والأمان . . وحين تضيع الألفة تحل الكراهية والخوف . . انا الآن اكره نفسى . . انا الآن خائف . .

انا خائف يا طبيب . . فهل عندك المساعدة . .

....

● انها حالة تسمى « اختلال الآنية » . . ولكى أجعل الأمر سهلا عليك ، ادعوك الآن لان تقول كلمة « انا » . . ماذا شعرت حين نطقت بهذه الكلمة ؟ . . ادعوك مرة أخرى لأن تقول لى ماذا تفعل الآن ؟ . ستجيب : انا الآن اقرأ كتابا . . سأسألك سؤالا ثانيا : ماذا كنت تفعل

امس : ستجيب : كنت انا واصدقائى خارج المدينة . . واليك بسؤال ثالث : ماذا تنوى ان تفعل غدا . . ؟ ستجيب : سأواصل عملى كالمعتاد . .

فى كل اجابة كنت تشير الى نفسك . . كنت تستعمل كلمة انا . . اذكرك بسؤالى الأول : ماذا تشعر وانت تنطق كلمة « انا » ؟ ستكون اجابتك بالقطع : لم اكن اشعر بشىء . . وهذا هو الطبيعى . . فانت لا تفكر فى قدميك وانت تمشى . . اى لا تدرك ان قدميك تتحركان . . ورغم ذلك فانت تحركها حركة هادفة وواعية .

وانت حين تفكر فى شىء وتتخذ قرارا لا تقول لنفسك : هذه افكارى انا . . وانا الذى اتخذت هذا القرار . .

وانت حين تشعر بعاطفة ما لا تحاول ان تتاكد ان هذه العاطفة صادرة عنك . .

وهذا معناه ان وعيك بجسدك وافكارك وعواطفك هو وعى لا يحتاج الى تامل وتاكيد . . هذا الوعى يتكون منذ لحظة الميلاد . . فاول حركة يقوم بها الطفل هى ان يرفع يده امام عينيه فيندهش لها . . ثم يدرك بعد ذلك اتصالها بجسده ثم يدرك قدرته على السيطرة عليها وتحريكها . . انه الوعى بذاته المادية . . اى بجسده . . وتتشكل صوره لهذا الجسد فى المخ . . اى يتشكل ادراك الانسان بجسده . . ان هذا جسده . . انه يعبر عنه . . اى ان كيانه يتحدد بهذا الجسد . . وهذا معناه الألفة . . والألفة تقضى على الاندهاش وتقضى ايضا على التامل

ثم تاتى مرحلة التفكير والتفاعل الوجدانى . . فيشعر الانسان ان كيانه المادى يتفاعل مع الوجود من خلال افكاره ووجدانه . وهنا يحدث اخطر التحام فى حياة الانسان . . التحام الجسد والنفس فى كيان واحد . . انها الألفة الشاملة . . اى الحب والأمان . . تنظر إلى يدك

فتشعر انها انت . . او جزء من « انت » وإذا نظرت الى جسدك كله فى المرآة فانك ترى « انت » تفكر فتشعر ان افكارك هى « انت » . . أنها الألفة الكاملة . . أى الحب بين كل اجزائك . . والأمان الذى يشعره كل جزء من الآخر . . فاذا جسدك وحدة وحدة . . واذا عواطفك وافكارك ملتحمة التحاما عضويا مع جسدك ، والكل يشكل شيئا اسمه انت . . تنطقها . . « انا » . . « انا » هذه تروح وتجىء . . تفكر وتبدع وتتخذ القرارات وتتردد . . تحب وتكره . . تفرح وتكتئب . . « انا » هذه عاشت الماضى وتعيش الحاضر وتنتظر المستقبل . . حاضرها يقود الى مستقبلها . . وماضيها يصل بها الى حاضرها . . الزمان متصل لانه متعلق بكيان واحد . . والزمان له معنى لانه يشكل حياة كيان واحد . . حياة انسان ما . . واذا كان هناك معنى للحياة فان حركة الانسان تظل مستمرة . . حركة جسده وحركة افكاره وعواطفه . . وبذلك يلبى الانسان احتياجات « انا » . . يتحرك من اجل ان يحصل على الرزق « لانا » . . يفكر من اجل ان يحل مشاكل « انا » يخفق قلبه بحب انسان آخر ملبيا احتياجات « انا » العاطفية . . يظل الانسان هكذا حتى يموت . . وهنا تنتهى « انا » بكل مكوناتها المادية والنفسية وتنتقل الى عالم آخر . .

....

● حالة صاحبنا اسمها « اختلال الآنية » . . أى أن هناك خلل اصاب « انا » . . نفسه أصبحت فى جانب وجسده أصبح فى جانب آخر . . تعالوا نتصوره وهو يقول « انا » . . اذا قالها فماذا يقصد بها اذن . ؟ . ولذا يشعر بالاندهاش . . بالاغتراب . . لا يشعر ان هذه هى يده . . لا يشعر ان هذا هو جسده . . لا يشعر ان هذه هى أفكاره . . لا يشعر ان هذه هى عواطفه . . لا يشعر ان هذه هى ذكرياته . . أى لا يشعر ان هذا الماضى يخصه أو انه عاشه . .

ما افظعها من احاسيس . . انها تاتى فجاة مثل النوبة الصرعية او مثلما ينفجر احد شرايين المخ فجاة . . تماما مثلما تحرك مفتاح النور ، فيظلم المكان فى اقل من جزء من الثانية . .

« اختلال الآنية » يحدث كعرض فى مرض الاكتئاب يحدث ايضا فى بعض حالات الوسواس القهرى . . يحدث مع القلق الشديد . .

يحدث مع حالات الاجهاد الشديد . . ومع الضغوط النفسية الشديدة حين تحاصر المشاكل الانسان من كل جانب ولا يملك لها حلا . .

بعض الناس مشاكلهم متعددة . . وبعض هذه المشاكل لا حل لها . . بعض الناس يعيشون محاصرين ، وكل الطرق امامهم مسدودة كالذى اشتعلت به السفينة ، وهو فى وسط المحيط ولا يجيد السباحة . .

قد يصاب الانسان « باختلال الآنيه » وهو فى فترة النقاهة من مرض عضوى . .

وقد يصاب الانسان بهذه الحالة بدون سبب واضح . . اى بدون وجود مشاكل وبدون وجود مرض نفسى او عقلى . . هى اكثر انتشارا فى النساء وخاصة صغيرات السن . .

وكما تاتى الحالة فجاة فانها قد تذهب فجاة مثلما تحرك مفتاح النور فيضاء المكان وكان شيئا لم يكن ، ويلتقى الانسان مع نفسه وتكون فرحته عارمة . . احساس يشابه احساس من يلتقى بحبيبه بعد فراق طويل . . فيعانق نفسه . . يسعد الجسد بعودة النفس . . وتسعد النفس بالجسد الذى عاشت داخل خلاياه منذ لحظة الميلاد الأولى . .

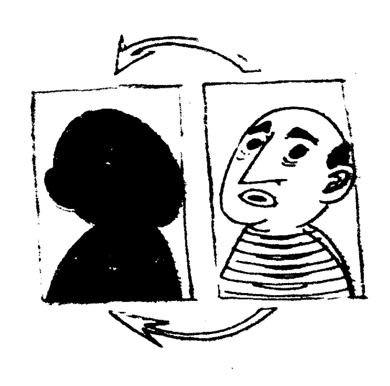
انها النعمة التى لا يدركها الانسان الا حين يفتقدها . . وما اجمل ان يظل الانسان معانقا نفسه . .

● ● ●

● الفصـل الثانى ●

* إختـلال « الـواقـع »

عنـدمـا يبتـلـع البحـر قـرص الشـمس



* * أشعر بالانقباض حين تغيب الشمس . . لعل هذا الأحساس يرجع إلى طفولتى حين كنت أشاهد قرص الشمس يهبط فى البحر تدريجيا حتى تختفى ، فاظن انها غرقت ولن تعود ثانية . .

يصبغ الاكتئاب مشاعرى حين يسيطر الضباب على السماء فيكتسى الوجود بلون قاتم غير محدد . . هذا اللون يجعل الأشياء تبدو غريبة فى عينى . . وهكذا تفعل معى شبورة صباح الشتاء . .

أقلق من كل شىء يحجب النور . . فانا احب أن أرى عالمى واضحا منيرا . . أحب أن أراه حقيقيا . . أن يظل إدراكى له ثابتا ، فذلك يبعث الطمانينة الى نفسى . . فالحقيقة والنور متلازمان . . والمعنى هنا هو الصدق . . صدق ما ترى وما تسمع . . صدق الناس والأشياء . . وما اسوا أن يكذب عليك إنسان . . وما افظع أن يكذب عليك عالمك الذى تعيش فيه . . عالمك الذى تدركه بأصابعك وأنفك وعينك واذنك . . عالمك الذى اعتدته وألفته . . عالمك الثابت المستقر الذى ارتبط بسنوات عمرك . . إرتبط بعواطفك وافكارك . . ماذا يحدث لو وجدته مختلفا . . ماذا يحدث لو اختفى وراء لون آخر ليوحى لك انه ليس عالمك الذى تعرفه . . ماذا يحدث لو أصبح ينقل اليك معنى مختلفا . . الن تشعر حينئذ بالخوف والرهبة . . ؟ هذه هى حالتى . . كيف أصفها وبماذا أسميها . ؟

الأشياء تبدو أمامى غير حقيقية . . الناس والأماكن والكلمات . . المعانى والأفكار والمشاعر . . تغيير ما شمل كل عالمى . . كأنى جديد عليه أو وكأنه جديد على . .

احس كانى ملفوظ . . مطرود . . غريب . . انظر الى صديقى صديق عمرى . . فاندهش له . . من هذا الانسان . ؟ إنه صديقى ماذا تعنى كلمة صديقى . . ؟ تعنى الحب وعشرة العمر . . شىء غريب . . هذا الشخص بينى وبينه حب ! ! هذا الشخص أعرفه من قبل ! ! من قال هذا . ؟ عيناى تؤكدان ذلك وذاكرتى تسعفنى بكل لحظات عمرى معه . .

لا . . لا . . إن هذا غير حقيقى . . هو يبدو غريبا عنى الآن . . يجلس امامى واشعر انه بعيد جدا . . آلاف من الأميال تفصل بيننا . . حتى صوته يبدو وكانه قادم من بعيد . . صوته له وقع غريب على اذنى . . صورته اراها امامى وقد غشاها الضباب . .

إنه يحدثنى بود . . ولكنى اندهش لهذا الود . . يحدثنى فى موضوع يخص كلانا ويثبت إرتباطنا بصلة ما . . ولكنى اندهش لكلماته . . اعرف عما يتحدث . . ولكنى اندهش للموضوع ذاته اشعر كانه يتحدث عن اشياء غريبة . . اشياء غامضة . .

وماساتى لم تتوقف عند حد صديقى . . نفس المشكلة اشعر بها مع زملائى الذين اراهم كل يوم من عشر سنوات . . والأماكن ايضا . . هذا الشارع اعبر فيه منذ طفولتى . . هو جزء منى . . جزء من تفكيرى ووجدانى فانا احب الأماكن مثل حبى للانسان . . اشعر بالألفة معها واصادقها . . ولذا استطيع ان اعبر فيها وانا مغمض العينين . .

اليوم ارى شارعى غريبا عنى . . اندهش له . . اندهش لفكرة اننى ولدت وعشت فيه . . يبدو لى اننى اعبر فيه لأول مرة فى حياتى . . هل هذا معقول . ؟ اننى ادرك الآن اننى اعرف كل شىء فيه . . ورغم ذلك فإنه يبدو غريبا واندهش لوجودى فيه

البيت . . والشارع . . والصديق . . والحبيب . . كل شىء . . كل شىء يبدو غير حقيقى . .

اضغط على راسى . . اهزه . . اشعر بعجزى . . عيناى واذناى

لا تسعفانى . . يداى أريد ان الصقهما باى شىء لأحسه . . ولكنها علجزة الاحساس . . ليس لعيب فى عينى واذنى ويدى . . ولكن لأن الناس والأشياء تبدو مختلفة فعلا . تقطعت اوصالى بكل شىء . . نزلت البئر وانا مطمئن فخذلونى وقطعوا الحبل . . فصرت وحيدا أنادى وما من مجيب . . أصواتهم اسمعها كضحكات هازئة متشفية . .

الآن أدركت وبعمق إحساس سيدنا يوسف حين تعرض لغدر أشقائه . . لعله أصيب وقتها بتلك الحالة التى تكاد تفتك بقلبى وعقلى . . لعله شعر وقتها بالأندهاش الذى قاده الى الألم والحزن . . لعله حين هوى فى البئر شعر بالأغتراب عن هذا العالم . . كل شىء أمامه غريبا معتما . . ظلام بئره كضباب سمائى الذى جعل كل شىء يبدو لعينى غريبا مختلفا . .

إنه نفس الأحساس الذى يداهمك حين تنتقل الى بلد بعيد لا تعرف ناسه ولا تعرف لغتهم . . وهذا معناه انه لا توجد عاطفة بينك وبينهم . . تلك العاطفة التى تتشكل بحوار العقل والقلب . . تلك العاطفة التى تجسد احتياجك لهم وإحتياجهم لك . . تلك العاطفة التى تنشأ بالعشرة لتخلق الألفة . . والألفة هى الحب والأمان . . الألفة هى رصيد العمر . . لا تستطيع أن تخطو أولى خطوات يومك بدونها . . الآن أدركت معنى أن يقول انسان أن سنين عمره مضت بلا معنى . . إنه يعنى انه عاش غريبا . . انه حرم من الأقتراب والتواصل . . انه عاش شتاء دائما فاحاط به الصقيع . . صقيع الفكر وصقيع الوجدان . .

أنا أحبك معناها أنا أعرفك . . انا احبك معناها أننى حين انظر الى عينيك أرى سنين عمرى معك . . أشعر أن تلاقى عينانا فى هذه اللحظة . . هو تكثيف لكل لحظات عمرنا الذى عشناه معا . . ونحن نمضى فى الشارع تلتقى عيوننا بالعشرات من الاعين . . نراهم ويروننا . . وننساهم فى اللحظة التالية . . انها العيون الغريبة

التى لا تحمل أى رصيد من خبرات سابقة مشتركة . .

أنا أحبك معناها أن كلماتك التى تتحرك بها شفتاك تبعث الحركة فى تفكيرى ووجدانى فأشعر بأننى حى وأن حياتى لها معنى لان كلماتك تستمد معناها من قاموس أشتركنا فى وضعه ويحوى رموزا توصلنا الى معناها خلال سنوات عمرنا المشترك . .

أنا الآن أرى وأسمع ولكنى لا أفهم . . فلا شىء يربطنى بمن أراهم وكلماتهم غريبة على أذنى رغم اننى اسمعها بوضوح . . إفتقدت الألفة مع الناس والأشياء . . ولهذا فإننى أشعر بالخوف . . أشعر بالخطر يتهددنى من كل جانب . .

أنا خائف ياطبيب . . فهل أجد عندك المساعدة . . ؟

....

* حالتك يا صديقى يطلق عليها الطب النفسى إسم « **إختلال الواقع** »

وواقعنا يا إنسان لا تدركه ـ كما قد تظن ـ بعينك وأذنيك وأصابعك . . عالمك تدركه بقلبك . . بمشاعرك . . إنها العاطفة التى تنشأ بينك وبين كل ما يحيط بك من بشر ونبات وحيوان وجماد . . أنت لا تستطيع أن تعيش فى حالة حياد عاطفى مع الوجود من حولك . . الحياد الفكرى ممكن الى حدود . . ولكن الحياد الوجدانى مستحيل . . هذا الواقع يتشكل فى مخك من خلال حواسك . . بعد ذلك ينتهى دور حواسك ، وتصبح مشدودا لهذا الواقع بوجدانك . . حبال متينة نسيجها من المشاعر . . وتتحرك وتجرى وتطير وهذه الحبال موصولة . . فهى التى تساعدك على الحركة . . فإذا تقطعت أحسست بالضياع . . أحسست بالاغتراب الذى يخلق الخوف . . كالطفل حين يفقد أمه وسط الزحام . . ما أسوأه من إحساس . . تصبح كل الكلمات جوفاء بلا معنى . . تصبح اللمسات باردة بلا إحساس . . تفقد حاسة الشم والتذوق . . تهرع من مكان الى مكان . . تدقق النظر وترهف

السمع . . تبحث عن يد تشعر بدفئها . . يد توصل لك الاحساس بالاعتراف . . تشعر بعطش الأرض الجدباء للمطر . . إنه العطش لاحساس الألفة الذى افتقدته . . تظن أن كل شىء من حولك ينكرك . . يدفعك بعيدا عنه تفقد إحساسك بالانتماء . . وهنا يتأكد أخطر وأهم الأحاسيس فى حياة الانسان . . الأحساس بالأنتماء . . الانتماء الى نسيج الكون . . الأحساس بانك متلاحم مع كل شىء من حولك . . متلاحم مع صديق وحبيب . . متلاحم مع المكان والزمان . .

ما أتعس الانسان إذا كان لوحده . . ما أقسى الطلاق بينه وبين العالم . .

لا حياة للانسان بدون قلبه . .

تحدث حالة « إختلال الواقع » فى مرضى الاكتئاب . . والاكتئاب هو الضباب الذى يحجب نور السماء . . الاكتئاب هو البحر الذى يبتلع قرص الشمس . .

تحدث حالة إختلال الواقع » فى بعض حالات الصرع . . والصرع هو خلل كهربائى يعوق نشاط المخ فى لحظات ، ويعوق إرتباط أجزائه وتواصلها كنسيج واحد . . بؤرة فى المخ يصدر منها فى لحظات نشاط كهربائى غير سوى فى منطقة مسئولة عن الأحساس بالأرتباط مع عالمنا الخارجى . .

تحدث حالة « إختلال الواقع » مع التعرض للاجهاد الشديد . . الاجهاد الجسدى والاجهاد النفسى . . الضغوط . . المفاجآت القاسية غير المتوقعة التى تنزل على رأس الانسان كالصاعقة . .

ما أبأس الانسان وحيدا . . ما أشد إحتياجه لعواطف وتعاطف الناس . . إنها الألفة حتى مع الجماد التى تحقق للانسان معنى لوجوده . .

● ● ● ●

● الرؤية « السابقة »

إسمها ..
خداع الأحاسيس !



● ● هذا المكان رأيته من قبل . . هذا يقينى الذى لا يحتاج الى تاكيد . . ليست هذه هى المرة الأولى التى أراه فيها . . هذا الجدار راسخ فى ذاكرتى . . هذا المنعطف عبرته من قبل . . أستطيع أن أجد طريقى فى كل أرجاء المكان دون الحاجة الى مرشد . . إحساس بالألفة تجاه كل ركن نابع من معرفة سابقة . . إنه نفس الأحساس الذى تشعر به حين تضل الطريق ، فتمشى فى شارع لا تعرفه ، وتظل تدور حول نفسك ، وفجاة تجدك فى طريق تعرفه يقودك الى المكان الصحيح . . الاحساس هنا بالارتياح . .

إنه نفس الاحساس الذى تشعر به حين تدعى الى مكان ، فتجد نفسك واقفا بين مجموعة من الغرباء فتشعر بالوحشة . . وفجاة تلمح وجها تعرفه لانسان صديق ، فتجرى نحوه . . تزول عنك الوحشة وتشعر بالطمانينة . .

ما أسعد الانسان بذاكرته التى تحتفظ له بكل خبراته السابقة . . لولاها لظل الانسان تائها طوال حياته . . لولاها لما عرف الانسان معنى الحنين . . لولاها لما عرف الانسان معنى الارتباط . . الارتباط بانسان والارتباط بمكان . . لولاها لما عرف الانسان معنى الولاء . . الولاء لانسان . . الولاء لمكان . . الولاء لأفكار ومبادىء . . انا احبك معناها أننى أعرفك . . معناها انك إذا إبتعدت احن الى رؤياك . . معناها اننى أستطيع أن أعثر عليك بين آلاف الوجوه . .

. . ذاكرتى تؤكد لى الآن اننى زرت هذا المكان من قبل . . ولكن الحقيقة . . الحقيقة المؤسفة أن هذه هى المرة الأولى التى ازور فيها هذا المكان . . ولكن احاسيسى تؤكد العكس . . وعندى الدليل على صدق إحساسى . . وهو أننى استطيع ان اجوب كل ارجاء المكان

دون مساعدة ، واستطيع أن اقول لك الآن ما سوف نراه . . هذا دليل على ان لدى معرفة مسبقة . . إن ذاكرتى تحتوى على خبرة سابقة . .

ولكن . . ولكن الحقيقة المؤكدة والمدعمة ان هذه هى زيارتى الأولى . . هذا معناه أن الحقيقة شىء وإحساسى شىء آخر . . معناه أن إحساسى يخالف الحقيقة . . معناه بكل اسف أن إحساس زائف . . ورغم ان الألفة تزيل الوحشة إلا أننى اشعر الآن بما هو أقسى من الوحشة . . أشعر بالحيرة وعدم الطمأنينة . . أحاسيسى كاذبة بل ممعنة فى الكذب لانها ما تزال تؤكد معرفتها بالمكان . .

ولكن أحاسيسى معذورة . . فذاكرتى تمدها بمعلومات صحيحة عن المكان . . معلومات لا يمكن ان تكون موجودة إلا من خلال زيارة سابقة . . أهو إذن إفتقاد الحكم السليم على الواقع . إنها حالة من الزيف . . لو أننى افصحت عن أحاسيسى لاتهمونى بالكذب . . وأنا لست كاذبا . . فاننى اعترف أننى لم أزر هذا المكان من قبل . . ولكننى أعترف ايضا أننى أعرف هذا المكان بكل تفاصيله . . إنها معرفة من زاره من قبل . . أحاسيسى تقول إننى جئت الى هنا فى زيارة سابقة . . .

إذن أنا أعترف بشيئين متناقضين . .

أى إنقسام على النفس هذا ! !

أى تناقض وبلبلة تعيشها نفسى ! !

أى حيرة مريرة اعانيها فى هذه اللحظة ! !

لمن أحكى ! ! ومن يسمع ومن يصدق ! !

أنا نفسى أعيش حالتين . . حالة تصديق . . وحالة تكذيب . . وكاننى إثنان فى شخص واحد . . كل منهما يتهم الآخر بالكذب وكل منهما أيضا يتهم نفسه بالكذب . . هل هذا معقول . . ؟

هل معقول أن تتهم إنسانا بالكذب فى واقعة معينة ، وفى نفس اللحظة تتهم نفسك انت بالكذب ، وتؤكد صدقه هو ، ثم تعود لتكذبه ، ثم تعود لتصدقه وهكذا . .

هل الكذب والصدق يجتمعان فى وقت واحد فيما يتعلق بموضوع واحد . . ؟

اى خلط هذا للواقع . .

ولقد تفاقم الأمر اكثر من ذلك . . الوجوه الجديدة اشعر ايضا انتى رايتها من قبل . . وجه جديد اشعر بالفة قديمة معه . . ملامحه . . حركاته ، صوته . . إبتسامته راسخة فى ذاكرتى . . اثناء حديثى معه استطيع ان اتنبأ بالكلمة التالية التى سينطقها ، وفعلا تخرج على لسانه . . وفى هذه اللحظة يقف شعر راسى . .

فى مرة حضرت محاضرة شدنى إليها موضوعها الجديد . . موضوع لم اسمع عنه من قبل . . وفى وسط المحاضرة شعرت ان كل هذا الكلام سمعته من قبل . . وفى كل ثانية كنت ارف مسبقا الكلمة التالية التى سيقولها المحاضر . . وفعلا كان يقولها كما توقعتها . . سيطر على الخوف والاضطراب لانتى فى نفس الوقت كنت واثقا انها المرة الأولى التى اسمع فيها هذا الكلام .

إنها الألفة التى تبعث على الخوف . . إننى خائف يا طبيب . . فهل اجد عندك المساعدة ؟ . .

....

● حالتك يسميها الطب النفسى « رؤية سابقة » اى ان ما تراه الآن رايته من قبل . . ما تسمعه سمعته من قبل . . اى ان اللحظة الحالية عشتها من قبل . . الجديد يصبح قديما . . الغريب يصبح مالوفا . . غير المعروف يصبح معروفا . . إنها المعرفة التى تزيل القلق امام المواقف الجديدة والغريبة . .

هناك حالة من القلق يشعر بها كل إنسان إزاء كل موقف جديد مكان جديد . . إنسان تقابله لأول مرة . . فى المرة الثانية يزول القلق . . ولذلك فنحن نحب دائما ان نزور الأماكن التى زرناها من قبل ، وذلك لنثبت اننا استطعنا ان نتغلب على قلقنا . . إنه إنتصار الانسان

على قلقه . . إنتصار الانسان على خوفه الداخلى من الجديد المجهول الذى لا نعرف ماذا يخبىء لنا . .

تزور بلدا لثانى مرة . . يدعوك أهله لترى أماكن جديدة لم ترها فى زيارتك الأولى . . فتطلب أن تزور فى البداية نفس الأماكن التى زرتها فى المرة السابقة . . إنه إستجماع الأحساس بالألفة التى نحتاجها فى كل وقت . . الألفة هى الحب والطمانينة . . للناس وللأشياء . . ومن خلال رصيد الألفة تستطيع أن تخطو خطوة جديدة نحو شىء جديد سرعان ما يسجل فى ذاكراتك ليصبح خبرة قديمة مالوفة . .

لعل الأمر كان شاقا فى البداية على الانسان الأول لأنه خطا أول خطوة . . بدأ من النقطة الأولى دون رصيد سابق . . رصيده فى بنك المعرفة كان صفرا . . ولكن كان عليه أن يخطوها لكى يستمر . . ولعله أصيب حينئذ بمثل حالتك . . حالة « الرؤية السابقة » . . . . أى أن إحساسه وقتها زيف له الألفة فشعر أنه وطأ هذه الأرض قبل ذلك ، وأنه التقى بحواء من قبل . . ولعله قال لها : أهلا بك . . أين كنت كل هذه المدة . . لماذا فارقتنى . . دائما كنت أحن لرؤياك . . كان عونى على الاحتمال تذكرى لكل أوقاتى معك بحلوها ومرها . .

الرؤية السابقة أعانته على قلق لقائه الأول مع حواء . . أعانته على تحمل أن يطأ الأرض وحيدا وهو لا يعرف عنها شيئا . . أعانته أن تتحرك ساقاه بالخطوة الأولى على الأرض وهو لا يعرف شمالها من جنوبها . . لا يعرف أين يسير أو الى أين يمضى وماذا يفعل . .

● « الرؤية السابقة » هى تزييف للواقع . . إنها خداع الأحاسيس . . خداع فى صورة يقين . . إنها دفاع ضد القلق . . دفاع ضد الوحشة . .

ولهذا يصاب بها الانسان فى حالة الاجهاد الشديد . . الاجهاد الجسدى أو الاجهاد النفسى . . حين تزيد الهموم وتتكاثر المشاكل . . . الطريف أن كل إنسان تمر به حالة « الرؤية السابقة » . . أى إنها

حالة طبيعية . . ويبدو انها تؤدى للانسان وظيفة نفسية . . إنها تنتشله من حالة الاغتراب . . إنها تحميه من الضياع الذى يشعر به حين يكون مجهدا ومثقلا . . إنها تربطه بالواقع حتى وإن زيفته له . . تطمئنه وتقول له : انت تعرف كل شىء . . لقد كنت هنا من قبل . . لقد رايت هذا الانسان من قبل . . لقد سمعت كلامه من قبل . . إذن لا شىء جديد . . إذن لا داعى للقلق . . رصيدك غنى بالمعلومات عن تلك اللحظة .

« الرؤية السابقة » تحدث ايضا فى بعض حالات الصرع حين تكون البؤرة فى الفص الصدغى . . إنها نفس البؤرة التى تسبب إختلال الانية وإختلال الواقع . . هذا معناه ان الفص الصدغى هو المسئول عن الادراك . . إدراك الذات . . إدراك الحقيقة . . إدراك الواقع من الفص الصدغى تمتد الحبال التى تربطنا بواقعنا الحقيقى . فاذا اصيب بالخلل اللحظى نتيجة لبؤرة اختل هذا الواقع فى تلك اللحظات .

.. وهناك تفسير فسيولوجى لحالة « الرؤية السابقة » . . فكما هو معروف ان المخ عبارة عن كرة منقسمة الى جزئين . . نصف كرة ايسر ونصف كرة ايمن . . الطبيعى ان يعمل النصفان بتنسيق كامل فى حالة الرؤية السابقة . . فإن احد النصفين يستقبل الواقع الخارجى مثل النصف الآخر ويخزنه فى الذاكرة . . بعدها ـ باقل من أجزاء من الثانية ـ يستقبل النصف الآخر نفس الواقع . . فى هذه الحالة يكون واقعا قديما لأنه قد تم إستقباله وتخزينه فعلا . . ولهذا يشعر الانسان انه قد عاش من قبل هذه اللحظة . . وهو إحساس صادق . . لان احد نصفى المخ عاش اللحظة قبل النصف الآخر . . فى هذه الحالة يكون الانسان قد عاش مرتين . .

• • • • •

● مخاوف « إختلال الشكل »

وتتوقف الحياة . .
عند هذه المشكلة !



● ● لا افهم لماذا ارسلنى جراح التجميل إليك . .

طلب منى ان ارى طبيبا نفسيا قبل ان يوافق على اجراء جراحة التجميل فى وجهى . . وحين رفضت زيارتك هددنى بعدم اجراء الجراحة . . اجىء اليك وانا غير مقتنع . . موافقته على اجراء الجراحة مرهونة بموافقتك ، وانا لا أدرى ما علاقة الطب النفسى بمشكلة انفى . .

تسألنى عن مشكلتى ! ! وانا اجيبك بأن مشكلتى ليست لها علاقة بتخصصك . . اهتماماتك هى مشاكل النفس ، وانا مشكلتى فى انفى . . فكما ترى فإن انفى كبير . . هنك عدم تناسق بين حجم انفى وحجم وجهى . . ولذا فانا اريد جراحة لتصغير حجم الأنف . .

جراح التجميل غير مقتنع . . يؤكد لى ان حجم انفى طبيعى وان وجهى متناسق وانه لا ضرورة للجراحة . . وحين واجه اصرارى حولنى اليك . . وانا اريد حكمك العادل . . انظر الى وجهى . . انظر الى هذه الانف الغليظة المتضخمة التى التهمت نصف مساحة وجهى . . انظر كيف ابدو دميما قبيحا . . انت تجاملنى ولا تريد ان تظهر اشمئزازك من قبح وجهى . . ولكن هذا الاشمئزاز اراه فى عيون كل الناس . . فى كل مكان اذهب ارى كل العيون تعلقت بوجهى . . ادير وجهى فتفاجئنى نظراتهم من اتجاه اخر . . اصد نظراتهم برفع يدى لتحجب انفى وأسفل وجهى . . فتتحول نظراتهم الى سخرية . . اهرع الى اماكن لا يعرفنى فيها احد . ولكن من اللحظة الأولى يكتشفون مدى قبح وجهى . . لم اعد احتمل . . حياتى اصبحت جحيما . . لازمنى الشعور بالكابة . . توقفت عن دراستى . . لم اعد استطيع التركيز . . لن افعل اى شىء فى حياتى الا بعد ان تجروا لى الجراحة . .

الجراحة او الموت . . الموت اهون من ان اعيش قبيح الوجه . . الموت اهون من نظرات الاشمئزاز والسخرية . . الحياة لم يعد لها طعم . . لم اعد استمتع باى شىء . . ما جدوى حياة تعيشها بوجه قبيح . . ما معنى حياة تعيشها وانت محاصر بالعيون . . لقد فقدت

قدرتى على رؤية وجوه الناس . . كل الوجوه تحولت الى عيون . . صدقنى ان الناس تحولوا الى عيون . . امامى وخلفى وعلى كل جانب . . عيون . . عيون . .

وحين اقرر الهروب واعتزل الناس فى بيتى تحاصرنى عيونى انا . . لا اترك المرآة لحظة . . لا استطيع مقاومة الابتعاد عن المراة . . ثبت مرآة فى كل مكان فى البيت . . وفى جيبى ايضا مرآة . . وحين تجهد عيناى اتحسس انفى بيدى . . اصابعى اصبحت قادرة على الرؤية . . بل اننى استطيع ان ارى انفى وانا مغمض العينين . . اراها غليظة منتفخة متوسطة وجه اصبح كريه الطلعة . .

اموت غيظا وحنقا حين تؤكد لى امى ان انفى طبيعية بل انها صغيرة الحجم . . لعلها ملت من كثرة سؤالى . . حين اراها امامى اطلب منها ان تنظر الى وجهى وان تقول لى كم يبدو مشوها بهذه الانف العجيبة . .

أصدقائى أيضا يؤيدون كلام أمى . . انهم يرون ان انفى متناسقة تماما مع وجهى . . يالهم من كاذبين . . ذهبت الى اكثر من جراح تجميل . . رفضوا جميعا اجراء العملية . . يرونه انفا طبيعيا . . لا شك انهم خائفون من نتائج العملية ولهذا يكذبون . . اخر جراح ارسلنى اليك . . وانا الان اطلب رايك . . اذا لم تكتب تقريرا بالموافقة على اجراء الجراحة فلن يكون امامى الا احد امرين : اما ان احاول ان اجرى الجراحة بنفسى أو ان اقتل نفسى . .

إذا كنت حقا طبيبا نفسيا فارحمنى . . ارجوك ان تقدر مدى عذابى . .

اريد أن اشعر اننى طبيعى مثل كل الناس . . أريد أن أرضى عن وجهى . . اريد ان احب وجهى . . اننى اكره هذا الوجه . . واصبحت اكره صاحبه . . هل تفهم معنى ان تكره جزءا من جسدك . . هل تفهم معنى ان تكره نفسك . . هل تفهم معنى ان ترفع راسك الى السماء فى كل وقت غاضبا متسائلا لماذا خلقت هكذا . . لماذا انا بالذات . . اى ذنب اقترفته حتى استحق كل هذا العذاب . .

هل تقبل ان تعيش مع انسان تكرهه ؟ . ما بالك اذن ان تكون كارهاً لنفسك . . كيف تعيش مع نفسك وانت تكرهها . . كيف يعيش انسان وهو رافض لجزء من جسده . ؟

لكى يقبل انسان ان يستمر فى الحياة لابد ان يكون راضيا عن جسده الذى يعيش ويتحرك به . . قد تقول لى كما قال غيرك من قبل ان روح الانسان اهم من شكله . . ولكننى اختلف معك ومع كل الناس . . المهم فى البداية هو الشكل . . بشكلك تقترب من الناس ويقتربون منك وبذلك تنشأ معهم علاقة . . الناس يقبلون او يرفضون شكلك اولا . . فإذا رفضوا شكلك رفضوا كل شىء منك . . والا لماذا خلق الله لنا عيونا خلقها لنا لنرى الشكل . . لنرى الجسد . . خلق لنا الاذنين لنسمع الاصوات ونقول ان هذا صوت جميل وهذا صوت قبيح . . انك تضع اصابعك فى اذنيك لتحميها من الصوت القبيح . . وكذلك تفعل العيون حين ترى منظرا قبيحا .

سوف تتحمل مسئولية موتى اذا لم تكتب لى التقرير بالموافقة . .

● حاول ان تسمعنى قبل ان اكتب لك التقرير . . ولا تحاول ان تقاطعنى حتى وان لم تتفق معى . . فانا اعرف مقدما انك لن تقتنع فالمشكلة انه لا يوجد عندك استبصار . اى انك غير مستبصر بطبيعة حالتك واصلها . . لو كان عندك استبصار لاقتنعت بكلام امك واصدقائك وبكلام جراحى التجميل . . انت تراهم جميعا كاذبين لانهم يرون انفك طبيعية . . اذن فانت ترى انفك بشكل مختلف . . كلهم وانا معهم متفقون على شى واحد ، وهو ان انفك طبيعية . . فهذه هى المشكلة . . والسبب فيها انك لا ترى انفك بعينيك ، وانما تراها بمخك الذى اصابه الاضطراب . . لو كنت تراها بعينيك لرايتها طبيعية مثلما نراها نحن . . انت تعانى من حالة نفسية إسمها « اختلال الشكل »

والعرض الاساسى فى هذا المرض هو ان فكرة خاطئة تسيطر عليك وتقتنع بها اقتناعا راسخا . . فكرة تتعلق بشكلك . . اى تتعلق بجسدك . . ترى ان جزءا منه له شكل غير طبيعى . . اى انه إحساس

بالقبح . . انت فقط الذى ترى ذلك . . ولذا نقول عنها « فكرة خاطئة » لأن أحدا لا يشاركك فيها . . ومهما حاولوا اقناعك بعدم صحتك فلن تقتنع . . تصديقك للفكرة راسخ . . بعد ذلك تشعر ان الآخرين يلحظون هذا القبح . . ولذلك يسيطر عليك الاحساس بالكآبة . . لدمامتك ولان الناس يلاحقونك بنظراتهم . .

وهناك كثيرون يعانون من مثل حالتك . وكل يختار جزءا يشكو منه . . الشفاة الغليظة أو الشفاة الرقيقة . . الذقن المدببة أو العريضة أو الطويلة أو القصيرة . . الحواجب المرتفعة أو المنخفضة او المنفرجة . . احدهم يرى ان يده اليمنى اقصر من اليد اليسرى ، او ان له رجلا اطول من رجل . . أو ان له ذراعا اغلظ من ذراع . . فاقوم بإحضار مقياس وأثبت له التساوى بين يديه أو ذراعيه أو ساقيه . . ولكنه يكذب المقياس . . ويكذب عيون كل الناس بما فيهم الأطباء المحايدون . . لا يصدق الا عينيه . . يمد يده امامى على المكتب ويطلب منى ان انظر بامعان . . فاذا لم أوافقه اتهمنى اما بالكذب أو بعدم الدقة فى الملاحظة . . وجميعهم يطالبون بجراحة تجميلية لاصلاح القبح . .

اعقد الحالات حين تكون المشكلة تتعلق بالاعضاء التناسلية . . أى يرى الخلل فى شكل هذه الأعضاء . . ويطالب ايضا بجراحة لاصلاح هذا التشوه المزعوم . . وايضا يهدد مثلك بأنه سيقوم باجراء الجراحة بنفسه لنفسه . .

وتتوقف الحياة عند هذه المشكلة . . تصبح قضيته ليل نهار . . ينام ويصحو على الفكرة المسيطرة . . يهجر عمله أو دراسته . . يخرج من عيادة طبيب إلى طبيب اخر . . يلاحق افراد اسرته أو أصدقاءه بالاسئلة . . ونادرا ما يدرك احد ان هناك مشكلة نفسية . .

. . فى بعض الحالات قد يكون هناك اختلاف ضئيل لا يذكر أو لا يلحظ فى حجم أو شكل جزء من جسمه ، ولكن حجم إنشغاله لا يتناسب مع هذا الخلل . . فمعظم الناس لديهم عيوب فى الشكل . .

وليس كل الناس يتمتعون بجمال الشكل او بالتناسق الكامل او بالجاذبية . . بل ان بعض الناس يكون حظهم في الشكل متواضعا الى حد كبير . . ولكن كل انسان طبيعي يالف شكله ويقبله . . كل انسان راض عن شكله مهما كان هذا الشكل . . كل انسان يحب شكله ويجد من يحبونه بشكله هذا

اذا تطلع إنسان إلى المرآة فانه لا يتفحص تفاصيل وجهه . . لا ينظر الى كل جزء على حدة لا ينظر إلى النسب بين مكونات وجهه . انه يرى وجهه وحدة واحدة . . يراه ككل وليس كاجزاء متفرقة . . وفي الحقيقة انه لا يرى وجهه فقط وانما يرى نفسه ككل . . يرى وجهه مرتبطا بجسده حتى وان لم يظهر جسده في المرآة . . يرى وجهه مرتبطا بمعنى اللحظة التي يعيشها ، كما يراه مرتبطا بمعنى كل اللحظات السابقة في عمره . . يرى وجهه مرتبطا بكل عمره . . بمعنى انه يرى وجوده كإنسان .

والانسان في حقيقته جسد ونفس ملتحمان او ذائبان في كيان او تكوين واحد . . والنفس هي الفكر والعاطفة . . ومن تفاعل هذا الكيان مع اللحظة ينبثق المعنى . والمعنى هو تاكيد للحياة والوجود . . فالانسان يدرك حياته ويدرك وجوده من خلال المعنى . . هذه هي قضيته الاولى . . لذا فهو حين ينظر الى المرآة فان ادراكه يصل الى ابعد من الانف والشفاة والذقن والحاجبين . . انه يدرك معنى وجوده من كل الوجه واتصاله ببقية جسده والتحاقه مع نفسه

اذن لا يوجد ادراك منفصل للجسد . . كما لا يوجد ادراك منفصل للنفس . . بل هناك ادراك للانسان . . وليس ادراكا مجردا . . بل هو ادراك للمعنى . . معنى اللحظة . . واللحظة متصلة بملايين اللحظات السابقة . . ولانه عاش كل لحظات عمره بكل هذا الكيان الماثل امامه في المرآة (جسدا ونفسا) لذلك تكون هناك الفة ومحبة مع هذا الكيان الفة ومحبة تكونت خلال رحلة العمر منذ ان وعى ان له جسدا ونفسا ولذا فانه اذا كان انفه كبيرا حقا فانه يراه كبيرا وليس غريبا

كما انه لا يستطيع ان يرفض هذا الأنف الكبير . . كما انه لا يطلب تغييره أو تصغيره . . بل ان الفكرة تفزعه . . فهذا الأنف الكبير بدأ الرحلة مع كل هذا الكيان (جسدا ونفسا)فنشا الانسجام وحدثت الألفة فذاب مع الكيان . . والقبول هنا للكيان ككل . . ولا يمكن ان يقبل بعض ويرفض بعض . . ولذلك فهو يراه انفا كبيرا ولكن لا يدركه كبيرا . . والفرق كبير بين الرؤية والادراك . . الرؤية هى شىء مجرد يتم عن طريق العينين . . اما الادراك فهو المعنى . . الاحساس

والمعنى حالة عقلية داخلية تتم عن طريق الفكر والوجدان

اذن حالتك هى خلل فى الادراك نشا عن اضطراب الفكر والوجدان

تبدا عادة الحالة فى سن المراهقة او بعدها وخاصة بعد حدوث التغيرات الفسيولوجية المتلاحقة فى فترة المراهقة . . هذه التغيرات تكون مفاجئة وسريعة ومتلاحقة ومرتبطة بالجنس ، ودور الانسان فى المجتمع وعلاقته بالجنس الاخر . . موقف المجتمع نفسه يتغير تجاه المراهق . . وبذلك يتعرض لهزة عنيفة ، وخاصة ان النمو الجسدى يسبق النمو النفسى فى تلك المرحلة من العمر

الحالة تبدا تدريجيا وقد يسبقها أو يصاحب بدايتها اختلال الانية واختلال الواقع . . الحالة عادة تصيب مرتفعى الذكاء . . تصيب الانطوائى الخجول الحساس المحب للتامل ، وخاصة المتامل لذاته ، من ليس له اهتمامات اجتماعية ، فهو منصرف لنفسه ناشدا الكمال الكمال فى مظهره وايضا فى دراسته او فى عمله . . وقد يكون موسوسا دقيقا وايضا مترددا . . المشكلة فى الاصرار على الجراحة . . واذا اخطا الجراح ووافق المريض واجرى له الجراحة التى يريدها ، فان الحالة تسوء اكثر . . فالجراحة قد غيرت فى شكل العضو ولكنها لم تغير فى ادراك المريض . . فلذا فان المريض يعود ويطالب بجراحة أخرى وربما يطالب بجراحة لتعيد الوضع الأول الذى كان عليه

وذلك يؤكد غياب الاستبصار الناشىء عن ظلل الادراك ، نتيجة لاضطراب التفكير والوجدان . .

هذه الحالة قد تاتى مستقلة ، تعتبر مرضا مستقلا . . وقد تكون مجرد عرض لمرض اخر ، وخاصة مرض الفصام « الشيزوفرينيا » . .

● ● وكما ان الانسان يقبل شكله كما هو ، فانه يدرك ويقبل الاخرين بنفس الطريقة . . الانسان يقبل ويدرك انسانا آخر كمعنى مرتبط بمعنى وجوده هو نفسه . . لذا فان مشاعر الحب والكراهية لا تعتمد إطلاقا على الشكل . . حتى فى الحالات التى يشعر فيها انسان انه احب انسانا آخر من اول نظرة . . فان مشاعر الحب هذه ليست مرتبطة بالشكل . . ولكن الذى حدث ان هذا الشكل ارتبط بمعنى محبب مختزن فى ذاكرته . . وحين رأى هذا الشكل ثارت لديه مشاعر الحب المختزنة ، والمرتبطة بهذا المعنى المرتبط بهذا الشكل . . انا احبك هنا معناها اننى حين رايتك ادركت المعنى الصادر عنك . . معنى احببته قبل ان اراك . . وجئت انت فجسدت هذا المعنى . .

قالت له فى دلال غاضب :

انك لم تلحظ فستانى الجديد رغم اننى احرص ان تكون عيناك أول من تريا كل فستان جديد اشتريه . .

قال بابتسامة حانية : حقيقة لم أره ولكننى ادركت معان . .

قالت باستغراب : وهل للفساتين معانى . .

قال : بكل تاكيد . . فانت التى اخترتيه باحساسك حين وجدته ملائما متناسقا جميلا على جسدك . . وحين لبسته تحول الى معنى جميل لم يكن ليكتسبه لو رأيته منفصلا عنك . .

سألته : وما المعنى الذى يجسده فستانى . . ؟

أجاب : المعنى هو جمال إحساسك . .

● ● ● ●

• « الرؤية » الثنائية للذات

وجها لوجه مع المهاجمين فى السماء !



ظهرت المذيعة على شاشة التليفزيون تعلن للمشاهدين توقعات الأرصاد الجوية لمزيد من التدهور فى الأحوال الجوية . . وتحذرهم من مغادرة منازلهم إلا للضرورة القصوى . .

مد يده بفتور ليغلق الجهاز ، ويتجول بلا هدف بين حجرات شقته الصغيرة التى يعيش فيها وحيدا . .

وصلته عبر النوافذ المغلقة باحكام أصوات فرقعات صادرة من السماء تبشر بهجوم وشيك على أهل الأرض جميعا . . أعقبها خبطات عشوائية عنيفة ! على نوافذه ، وكان ايادى خارجية تريد ان تفتحها عنوة . . فتراجع إلى الوراء خشية ان تستجيب ، ويجد نفسه وجها لوجه مع المهاجمين من السماء ، وشعر بحسد شديد لأهل القبور ، فهم فى مامن من هذه الاعتداءات الوحشية . . وتصور نفسه هيكلا عظميا يرقد فى قبر لا يرى ولا يسمع ولا يشعر بما يدور حوله ، بينما روحه طليقة بعد ان تحررت من الجسد ، وتستطيع أن تحلق فى السماء فى مستوى اعلى من الأخطار الهابطة على الأرض . .

قرر أن يخرج الى الشارع رغم التحذيرات . . الخروج الى الخطر اهون من توقعه وإنتظاره . . ازعجه واخافه محاولات الرياح المستمية لتفتح عليه نوافذه وأبوابه . .

اخفى جسده داخل بالطو سميك بلا ملامح ، روعى فى صناعته أن يحمى صاحبه من البرد والأمطار دون الاهتمام بالاعتبارات الجمالية . . وأسقط فوق رأسه طاقية خاصة ذات جانبين ، احاطت بجانبى وجهه وأسفل ذقنه ، فاختفت كل ملامحه إلا عينيه . . وقبل أن يدلف إلى

الخارج وبدون قصد ، شاهد نفسه فى مرآة تقف بجوار الباب فلم يتعرف إلا على ملابسه . .

إختفى الأحياء من الشارع ، وسيطر ظلام هبط مبكرا عن موعده يتراجع لثوان أمام ومضات البرق . . ولم ينفعه الاحتماء بالبيوت ، فالرياح تدفع بالسيول الهابطة فى كل إتجاه ، فقرر أن يتوسط الشارع كجندى شجاع . .

وفجاة وجده امامه مندسا فى بالطو بلا ملامح ، وتحيط برأسه ووجهه طاقية شبيهة بطاقيته . . وهمس لنفسه . . ذلك رجل شجاع آخر أخرجه الخوف من بيته فى ذلك الوقت . . وراوده خاطر سخر منه للحظة ثم ملاه بالخوف انا . . هذا الرجل الذى يقدم نحوى هو انا . . وحاول ان يتشبث بالاحساس الساخر الذى اجهض فى لحظة ، ليدفع به الخوف . . ولكن خوفه كان أقوى . .

وعاد يقول لنفسه بصوت إنحبس تماما : غير معقول . . الانسان لا يرى نفسه إلا إذا كان فى مواجهة مرآة . . وانا الآن امشى فى وسط الشارع . . ساقوم بتجربة تثبت خطا عينى وكذب مشاعرى . . سأخلع البالطو واجرد رأسى من غطائها . . فإذا بقى هو على حاله داخل ملابسه فسيكون شخصا آخر . .

ورغم جحيم البرد والمطر خرج عن طاقيته أولا ، فإذا بالرجل أمامه يقوم بنفس الحركة ، وإذا الأمر يبدو جليا . . إنه هو بلا أدنى شك . . وإلتقت عيناهما فتجمدت قدماه ووقف مكانه . . فوقف الرجل على غير بعيد منه . . لا مفر . . لا مفر . . وإذا كان هو انا فلا خوف . . كيف اخاف من انا . . الخوف يكون من الآخرين . . كل الناس ممكن أن يتحولوا إلى أعداء ضدى إلا انا . . فلا يمكن انا أن يتحول عدوا ضد انا . . الغريب والصديق والقريب والبعيد قد ينقلبون على إلا انا . . لا يمكن أن ينقلب على انا . .

حاول أن يتأمله . . ولكن الوجه بدا وكأنه يطل من وسط ضباب . .

شعر بالحيرة والحزن وتمنى الموت ، فامتلات عيناه بالدموع . فكادت الرؤية ان تنعدم ، فرفع يده ليزيل غشاوة عينيه . . عاد ليحلق في الرجل ، ولكنه إختفى فجاة . . ولايدرى كيف إختفى . . أحد امرين . . اما إنه ارتفع إلى السماء أو هبطت به الارض . .

عاد إلى شقته مهموما . . وعاوده عدم التصديق واعتقد انه على وشك أن يفقد عقله

....

ظل طوال اليوم التالى كئيبا . . فاستغاث بالانسانة التى يحبها . . حزنه لا يذهب إلا حين يراها هى الوحيدة القادرة في العالم كله على أن تبعث في نفسه الطمانينة . .

وهو في طريقه إليها ظل يلتفت حوله وكانه يبحث عنه . . واختلطت لديه المشاعر . . وسال نفسه : هل ابحث عنه لأراه ام انني اريد ان اثبت انني كنت واهما . .

وقرر ان يحكى لها عن تجربة الأمس السخيفة ولكنه تراجع بمجرد أن رأها . . زال عنه كل همه بمجرد أن جلس إليها . . دفن نفسه في وجهها وشعر بالتلاشى . . فاحكمت إحتضانه بعيونها . .

وفجاة أحس انه موجود . . فراى كل شيء حوله يهتز بعنف ، وكانه زلزال اصاب المكان . . حول وجهه عن وجه حبيبته فرأه يجلس على مقربة منه . . فمد يده متشبثا بيد حبيبته . . وطلب منها أن يغادرا المكان فورا . . وبدون أن تساله عن السبب إستجابت لطلبه . . إلتفت وراءه فلم يجده . .

مشيا معا وطلب منها آلا تتركه فعبرت عن موافقتها بتعلقها بذراعه . . نظر نحوها شاكرا فإذا به يمسك بذراعها الآخرى . . ومضى ثلاثتهم بدون حديث . . أراد أن يكلمه ولكن خشى أن تسمعه . .

. . الآن تيقن انه هو . . نفس الملابس . . نفس الوجه . . نفس الحركات . . بل هو يمسك بذراعها الآخرى دون إعتراض منها . .

ولماذا تعترض فهو انا . . انا حبيبها الذى تعرفه منذ سنوات لو كان شخصا آخر لنفضت يدها منه ولاحتمت به .

وخطر له افكار غريبة . . ماذا لو خطفت شيئا وتركته ليمسكوا به . . ماذا لو إرتكبت جريمة قتل وهربت ليواجه هو الموت بدلا منى . . اليس هو انا . . اى انا إثنان . . فلا مانع من ان يموت واحد وبيقى الآخر . . ماذا لو اقدمت انا على الانتحار . . هل سيبقى هو . او ماذا لوقتلته . . هل سابقى انا . . ام نحن صورتان لشخص واحد . . كمن ينظر فى المرآة . . فإذا إختفى الأصل إختفت الصورة

احسست بانه فى حالة إعياء شديدة وضعف . . فظننت به مرضا فقادته الى بيته ، وإعتنت به حتى نام . . وانسحبت فى هدوء

....

● حالة غريبة ونادرة . . حالة تصيب بعض عباد الله الأصحاء والمرضى . . الأصحاء بمعنى انهم لا يعانون من اى مرض عقلى او عضوى . .

فجاة يرى الانسان نفسه أمامه . . تماما كمن ينظر فى مراة . . ولكن فى هذه الحالة لا توجد مراة يتطلع اليها ولكنه يرى صورته امامه إنسان آخر يشعر انه هو نفسه . . نفس ملابسه . . نفس حركاته . حركاته التى يقوم بها فى نفس اللحظة . . مثلما يقلد شخص شخصا آخر . . يمشى إذا مشى . . يقف إذا وقف . . يرفع يده فوق رأسه إذا رفعها . . قد يراه مجسدا . . وقد يراه شفافا بلا الوان . . قد يراه بوضوح وقد يراه وقد أحاطه ضباب . . وكانه مصنوع من دخان

والأهم من الرؤية هو الاحساس . . إنه يشعر بذاته مجسدة فى كيان آخر . . يشعر انه إثنان . . وكأن صورته عن نفسه فى مخه قد انفصلت وخرجت لتحتل حيزا مكانيا . . وبدلا من ان يرى نفسه وهو مغمض العينين فانه يرى صورته امامه . . تماما كمن يقف فى حجرة غطيت جدرانها وسقفها وارضها بمرايات . . فاينما إتجه وجد صورته محسدة



● ارسطو

امامه . . وهو لا يشعر انها مجرد صورة ، بل يكون لديه يقين ان الصورة لانسان حقيقى . . وهذا الانسان هو ذاته . .

أرسطو وصف حالة رجل كان لا يخرج إلا إذا رأى نفسه بشكل مزدوج . . إثنان أحدهما يتجه نحو الآخر . .

بعض الشعراء والكتاب وصفوا هذه الحالة كتجارب ذاتية عانوا منها وعايشوها مثل شيلى ، ودى موبسان ، وإدجر آلان . .

. . قد تظهر الحالة فى بعض الأمراض العضوية كالصراع والصداع النصفى . . وقد تكون عرضا فى مرض الفصام . . ولكن مريض الفصام لا يابه بهذه الظاهرة . . أو لا يشعر بالقلق حين يرى نفسه أمامه . . ويؤكد بعدم إهتمام ان هذا الشخص الذى هو ذاته يلازمه كل الوقت ويقوم بنفس حركاته . . قد تحدث حين يبدأ الانسان فى النوم . . وقد تحدث مع التوترات العاطفية العنيفة وخاصة فى الشخصة النرجسية التى لا تحب أحدا إلا نفسها . .

التحليل الأعمق لهذه الحالة يكشف عن وجود رغبة فى الموت ثم إعادة الميلاد . . أى أنه يريد أن يولد من جديد بعد أن يموت . . لقد قام بتخليق شخص آخر . . جسده فى صورته . . أخرج هذه الصورة من مخه ووضعها فى كيان متكامل . . كيان حى يتحرك . . إنها عملية ميلاد لإنسان جديد . . إنه هو الذى ولد وبعث من جديد . . ونظرا لاستحالة وجود اثنين . .فأحدهما يجب ان يموت . . يموت القديم ويبقى الجديد . . والجديد سيبدأ صفحة جديدة . . الجديد ليست له صلة بالماضى . . الماضى سيموت بموته هو . . الماضى سيموت معه . . وبذلك ستطوى صفحة لتبدأ صفحة جديدة . .

لماذا . . ؟ لأن الماضى كئيب . . ولابد ان الماضى مثقل بالذنوب . . الماضى مشاكل لاحل لها . . إنه الحل المستحيل لحياة اصبحت مستحيلة

فى ظل مشاكل يستحيل حلها ، ومتاعب يستحيل الفرار منها ، وذنوب يستحيل الخلاص منها .

والموت هو الراحة من كل هذه الأشياء المستحيلة . . ولهذا يجب ان يطلق الرصاص على نفسه ، وبذلك يكون لا مشكلة . . ، كالذى ينتحر حينما تحاصره الديون ، او كالذى ينتحر حينما يتعرض لفضيحة او كالذى ينتحر ياسا من شفاء مرض خبيث ، أو كالذى ينتحر هربا من الابتزاز . . او كالذى ينتحر تخلصا من احاسيس الذنب . . فلن يكون هناك ديون مطالبا بسدادها ، ولن تؤثر فيه الفضيحة ، ولن ينال منه المرض الخبيث ، ولن يطارده الابتزاز ، وسيتخلى عن احاسيس الذنب . . ولكن قبل ان يموت فهناك شخص آخر سيواصل الحياة

إنه الخوف من الفناء الكامل . . فالانسان ترعبه فكرة الفناء الكامل . . فكرة انه سيزول زوالا دائما ولن يبقى منه شىء . . فكرة انه سيمضى بلارجعة ، وستستمر الحياة بدونه . . وبرغم وعى الانسان الكامل ، ويقينه انه سيموت بدليل انه فى كل لحظة يموت انسان الا انه لا يتصور نفسه انه سيموت ايضا مثل بقية الناس . . فالانسان لديه غريزتان متعارضتان . غريزة الموت وغريزة الحياة

غريزة الموت التى قد تدفعه الى الانتحار ، أو القيام باعمال فدائية ، والمخاطرة بحياته فى العاب خطرة ، والاهمال فى صحته بكثرة التدخين ، والاكل والخمور والعمل والسهر . .

وغريزة الحياة التى لا تجعله يصدق انه سيموت . . أى انه سيخلد . . تجعله يتشبث بالحياة مهما بلغ به العمر ، ومهما واجهته الصعاب . . ولولا غريزة الحياة لانتحر كل الناس .

. . غريزة الحياة هى التى خلقت هذا الانسان الآخر . ليطمئن الانسان انه حتى بعد ان يموت فانه هو هو سيظل فى الحياة . . فها هو يرى نفسه امامه بكل يقين .

● ● ● ●

• العدمية :

زراعه المبتورة عادت إلى مكانها



. بعد ان دس المفتاح فى جيبه بحرص ، شد ناحيته درج مكتبه ستاكد انه احكم إغلاقه . .

نهض بدون لهفة ليغادر الحجرة . . تبعه سكرتيرة الخاص الذى حمل عنه حقيبته . . شاهد تدافع الموظفين وهم يغادرون مبنى الوزارة . . فتذكر انه يجب ان يعود الآن إلى بيته . . تقهقر السكرتير خطوة الى الوراء بعد أن فتح له باب السيارة . . إنحنى ليستقر داخلها ، فشعر أن جسده أصبح خفيفا . . ولم يبذل جهدا ليدفع بنفسه إلى مقعده الخلفى . . وكانه طار من الأرض واستقر جالسا . . مد يده ليتناول الحقيبة من السكرتير ، فشعر وكان يده اصبحت فى خفة الريشه . .

ولما لم يتلق السائق امرا بالتوجه الى مكان معين . . تحرك تلقائيا نحو البيت . . شعر بالفتور وعدم الرغبة فى العودة الى بيته . . فاصدر امرا بأن يتوجه به الى النادى . . كاد ان يقع على الأرض وهو ينسلخ من سيارته لولا ان امسك السائق بإحدى يديه ، فنصب قامته ورفع يده الأخرى الى اعلى يريد ان يمسك بشىء . . فاطبق على الهواء . . فشعر وكانه يسبح تحت الماء . .

تقدم دون ان يشعر ان له ساقين تتحركان . . ووجد نفسه وقد جلس على كرسيه المعتاد فى صالون النادى الفخم . .

عبر به صديق محييا وفوجىء بيده تعود إلى جانبه بعد ان رفعها ليرد تحية صديقه . . وعجب كيف رفعها وانزلها دون ان يراها او يشعر بها . .

وفى انتظار فنجان القهوة الذى امر به ، دس يده فى جيبه ليخرج علبة سجائره . . خرجت العلبة من جيبه ورآها تتحرك حتى إستقرت امام عينيه دون ان يرى يدا تحملها . . وتذكر انه راى هذا المنظر فى أحد أفلام الأطفال . . وكان عن شخص يرتدى طاقية الاخفاء . .

فيضحك الأطفال لأنهم يرون الأشياء تتحرك في الهواء دون أن يحملها احد . . فتحت علبة السجائر وخرجت منها سجارة تحركت الى أعلى حتى استقرت في مكان فمه . . ثم اشعلت السيجارة ورأى دخانها ينبعث من تحت مكان انفه . .

جاء الجرسون بفنجان القهوة فخشى أن يتناوله منه ، فأمره أن يضعه امامه على المنضدة . . تعجب الجرسون فهذه ليست عادته . . اخذ ينظر الى فنجان القهوة مترددا منتظرا ان يتحرك الفنجان وحده في الهواء ناحية فمه ، ولكن الفنجان لم يفعل . . فقرر أن يرفعه بيده . . مد يده امامه . . تذكر صديقا له بترت ذراعه ولكنه ظل يعتقد انه ستاتى لحظة مفاجئة حين يهم بتناول شيء أمامه فيجد أن ذراعه المبتورة قد عادت الى مكانها وتناولت ذا الشيء . . وكان هذا الصديق يشعر بالام في الهواء على إمتداد الذراع المبتورة . .

. . شعر بسخافة ان يرد له هذا الخاطر في هذه اللحظة . . وما علاقة حالته الآن بحالة صديقه ذى الزراع المبتورة ! ! إن ذراعه لم يبتر والحمد لله . . ولاشك انه مجهد . . ولهذا تنتابه هذه الحالة المضحكة . . وقرر ان يضحك . . ومد يده مرة اخرى ليتناول فنجان القهوة . . ولكن ضحكته المصنوعة ماتت . . لم ير يده هذه المرة ايضا . . بسرعة حاول ان يمد يده الثانية . . فلم ير شيئا . .

شعر بالاشياء تدور من حوله ، فاغمض عينيه ومال برأسه الى الوراء ، وقرر ان يستمر على هذا الوضع دقائق حتى يستعيد حالته الطبيعية . . وظن انه يحلم حين رأى الهرم الأكبر وقد انهار في لحظة وتساوى مع الأرض . . واصبح مكانه خاويا . . بعدها شعر أن رأسه تدور بسرعة دورات كاملة فوق جسده ، ثم بانفجار مروع داخله حوله الى ذرات غير مرئية إنتشرت على مسلحات واسعة . .

فتح عينيه وكانه قد افاق من كابوس ولكنه لم يجد نفسه . . إنه يرى كل شيء حوله ولكنه لا يرى نفسه . . لقد اختفى جسده . . أصبح

لا شىء . . لم يعد جسده يحتل اى حيز مكانى . . مكان جسده اصبح فراغا حيث لا جسد له . . انا الآن اصبحت السيد « صفر » . . الصفر كمعنى لا كرقم . . الصفر كمعنى معناه العدم . . معناه لاشىء . . إذن انا السيد « لاشىء » . . او انا السيد « عدم » . . تقدم الجرسون ورفع من أمامه فنجان القهوة الذى لم يمس . . لو رآه موجودا لما جرؤ أن يرفع الفنجان . . لعله اعتقد انه إنصرف . . إذن انا الآن غير موجود بالنسبة لبقية البشر . . مثل الانسان الذى كان موجودا فى مكان ثم انصرف عنه . . أو مثل الذى مات وذهبوا به الى القبر . . فاصبح سريره ومكتبه وسيارته خالية منه . . لعلها طريقة جديدة للموت . . طريقة يختفى بها الشخص تماما فجاة ودون أن يبقى منه اى شىء . . إذن انا الآن ميت . .

أراد أن يتأكد . . رفع يده بالتحية لشخص يقف امامه ، فلم يعره هذا الشخص إلتفاتا . . دفع بيده شخصا فلم يبد عليه اى تاثير لدفعته . . قفز ليجلس بين اثنين متجاورين على اريكة . . فلم يتململا واستمرا فى حديثهما . . جرى نحو الحمام حيث مرآة كبيرة يعرف مكانها . . وقف قبالتها . . فلم ير شيئا . . ولكنه لمح صورة شخص آخر يقف بجواره ظاهرة على المرآة . . هذا الشخص إذن موجود وانا غير موجود . . لو كنت انا موجودا كجسد لظهرت على المرآة مثله . . أما انا فلا شىء . . انا عدم . . انا صفر . .

....

● ● تلقت منه خطابا يقول فيه :

حين أحببتك شعرت بهذا الحب يحط فى قلبى . . وأدركت أن الحب مكانه القلوب . . وقلت لك إننى أحبك من كل قلبى . . وبكل قلبى . . لم يكن كلاما معهودا معادا . . ولكننى اشعر به بشكل ملموس يحس . . أحسست بتغير فى نبض قلبى . . كان نبضا هادئا وقويا . . هدوء

الواثق وقوة المطمئن . . احسست اننى احتويك بقلبى . . لم تكن فراغات قلبى تحتوى على دمائى فقط . . ولكنك انت بداخله وبين سغافه . . ولذا لم تكن مشاعرى نحوك حبا فقط وإنما كانت عشقا وشغفا . . كان قلبى معبدا لك . . وكنت انت معبودته . . ولذا كنت اعى معنى قولى لك اننى اعبدك . . وحين كان قلبى يضخ الدماء فى شراييني . . كان دمى ينطلق الى خلايا جسدى معطرا من انفاسك . . كنت أشمك بكل خلايا جسدى . كنت أشعر بك فى أصابعى وعيونى ومخى وكل مكان تصل له الدماء فى جسدى . .

والفضل فى ذلك كله يرجع الى قلبى . .

واليوم اكتب لك لأنسحب من حياتك . . فلقد فقدت قلبى . . ولذا لم اعد اصلح للحب . . لم اعد استحق حبك . .

اصبحت إنسانا بلا قلب . . اصبح مكانه فراغا . . اضع يدى على صدرى لأتحسسه فاشعر بملمس الموت . . لم يعد هناك اى نبض . . وتوقف سريان الدماء فى شراييني . . وانى لأعجب كيف تستمر حياتى حتى الآن . . فتوقف القلب معناه الموت . . فما بالك بقلب غير موجود على الاطلاق . . إن حالتى شاذة وغريبة . . حالة انسان حى بالرغم من اختفاء قلبه . .

. . هرعت اليه وقد عصرها الحزن . . ظنت من كلماته انه يعنى انه كف عن حبها . . إن الحب مات فى قلبه . . ولكنها فوجئت به يؤكد لها أن قلبه لم يعد موجودا . . فجرت به على طبيب القلب الذى اكد ان قلبه سليم وموجود مكانه ويؤدى وظائفه بشكل طبيعى . . ولكنه اصر أمام الطبيب ان قلبه غير موجود . . انه لا ينبض . .

اخذ يد الطبيب ووضعها على قلبه : تحسس بيدك . . هل تشعر أى نبض ! ! افحص باجهزتك الأكثر دقة . . سوف يتأكد لك خلو الصدر من القلب . . لماذا لا تريد ان تخبرها بالحقيقة . . هذا حظى أن اعيش بدون قلب . . هذا حظى التعيس ان يختفى القلب الذى اسعد حياتى

بحبه لك . . مات قلبى فاصبحت عاجزا عن حبك . .

نظر طبيب القلب الى حبيبته فى اسف . . همس لها : إنه فى حاجة الى طبيب نفسى وليس طبيب قلب .

....

● ● هكذا حاله منذ شهر . . وكل حى نائم يستيقظ . . أما هو فما زال الظلام يسيطر بوحشية على الكون . . تداهمه أفكار سوداء ينهزم امامها ظلام الليل . . فيحكم الغطاء حول رأسه حتى لا يسمح لبصيص النور الأول بالنفاذ وكأنه قرر أن يكثف السواد لينتحر به . .

فى تلك الليلة حين إستيقظ قبل الثالثة صباحا سرت فيه بعض الحياة . . فقرر أن ينهض من فراشه . . سمح جو الربيع بأن يفتح نافذته . . فلم ير الحدود التى تفصل بين السماء والفضاء والارض . . شملها جميعا السواد . . فقرر الانسحاب الى فراشه . . ولكن نسمة مفاجئة جعلته يتشبث بالنافذة . . ادرك من رائحتها أن الصباح وشيك . . وحين زقزق أول عصفور تيقن أن أول شعاع نور قد وصل . . وفى تلك اللحظة استطاع أن يرى حدا واهيا بين السماء والفضاء . . بعدها تدفق النور تباعا حتى أصبحت له سيطرة شبه كاملة . . تنفس الصعداء وارتاحت نفسه وراوده امل قوى فى الشفاء من إكتئاب ظل على مدى شهر يتناول له حبوبا . .

قرر ان يستقبل النور على جسده . . فخرج الى الطريق . . مشى ساعة . . ساعتين . . ثلاثا . . وكلما نظر الى ساعته وجدها تتقدم ولكن حال الكون كما هو . . ظن نفسه مازال نائما . . عاد مهرولا الى بيته . . تطلع الى كل الساعات . . فوجدها تحكى نفس الكذبة . . تتقدم رغم توقف الزمن . . لا يريد الزمان أن ينتقل الى نقطة اخرى . . توقف الزمان وهذا معناه توقف حركة الكون . . مثلما يصيب العطل المفاجىء جهاز العرض لفيلم سينائى . . فيقف الفيلم عند لقطة معينة لا تتطور بعدها الأحداث . .

الزمان توقف معناه ان العمر لن يمضى . . سيقف العمر عند هذه اللحظة . . ما دام الزمان مازال متوقفا . . واذا ظل متوقفا سنوات او قرونا فساظل متوقفا عند هذه اللحظة من عمرى . . إذن انا لن اموت ابدا . . سأخلد . . لن انتهى الا بانتهاء الكون نفسه . . لن ازول من على وجه الارض الا حينما تقوم القيامة . .

يمضى عمر الانسان عام . . عامان . . خمسون . . سبعون . . ثم . . ثم تحدث الوفاة في الشيخوخة . . ولكن الزمن الآن توقف . . إذن لن يتحرك عمرى للامام . . ساظل ابد الدهر كما انا في هذه العمر . .

انا خالد . . انا لا نهائى . . انا ابدى . . انا لا منتهى . .

ولهذا فانا أرى كل شىء امامى ثابتا . . بلا حركة . . لا شىء يتحرك . . فالحركة معناها زمن . . ولا يمكن ان تحدث حركة بدون زمن يتحرك لتحدث على مداره هذه الحركة . . إذن لا معنى لأى حركة . . وبالتالى لن يكون هناك وجود لأى حركة . .

توقفت حركة الكون . . فتوقف الزمن . . فتوقفت حركة الأشياء . . وما يعنينى أنا شخصيا اننى لن أموت أبدا . .

....

ماذا أصاب هؤلاء الناس . . ؟ إنها حالة غريبة وقاسية تسمى « العدمية » او ضلالات العدم . . يشعر ان قلبه قد توقف أو اختفى . . أو ان مخه قد ذاب أو انه أصبح بلا معدة . . يشعر ان شرايينه قد خلت من الدماء أو ان عظامه تفتتت ولم تعد تصلح لحمل جسمه . .

أو قد يشعر انه هو نفسه قد انتهى ولم يعد له وجود . . انه أصبح بلا جسد . لأؤ أصبح صفرا . . أو يشعر ان الزمن قد توقف . . وان كل شىء في الحياة قد توقف . . وتوقف الزمن معناه انه لن يتقدم في العمر . . وبذلك سيصبح خالدا وابديا ولن يموت . .

إنه الاكتئاب الذى يؤدى الى الاحساس بهذه الحالة . . والاكتئاب هو تفريغ للحياة من محتواها ـ وإجهاض لمعناها . . إنه القنبلة التى تنفجر فى وجه الحياة لتصفى عين الشمس . . فيستحيل كل شىء الى ظلام والى عدم . .

فى البداية تظلم النفس . . يشعر المريض بعتمة داخلية فيتخبط ثم يتوقف . . تصبح نفسه عاجزة عن متابعة حركة الحياة . . وحين تتوقف النفس يصبح الجسد بلا معنى . . وهنا اما ينكره بالكامل أو ينكر احد أعضائه الهامة . .

والاحساس بالتوقف قد يعكسه على الخارج ، فيرى العالم قد توقف من حوله . . والتوقف معناه لا حياة ولاروح . . وبذلك يصبح لا معنى للزمن . . الأحياء فقط هم الذين يهتمون بالزمن . . أما الموتى فى القبور فلا حساب للزمن لديهم ولا معنى له . . فاذا تحرك الزمن أو توقف فلا فرق . . ولهذا فإن مريض الاكتئاب قد يشعر أن الزمن قد توقف . . وهذا يعنى عدم جدوى الزمن . .

. . فى لحظات الالم الحاد يمر الوقت ببطء أو لا يمر على الاطلاق وكان الزمن قد توقف عند هذه اللحظة . . وكأنه لايريد للألم أن يرحل عن الانسان . . إنه الامعان فى العذاب . . تصبح الدقيقة فى حجم وثقل دهر باكمله جاثمة على النفس بكل ما تحمله من معاناة . .

. . وحين يكون الانسان وحيدا يتباطأ الزمن أيضا وكأنه ينكل به . .

. . فى لحظات السعادة . . وحين يكون الانسان فى صحبة الاحبة يتطاير الزمن . .

إذن الانسان يشعر بالزمن ويدركه بوجدانه . .

نبضات الوجدان هى التى تحرك عقارب الزمن . . الوجدان الحزين بنبضاته الخافتة الضعيفة التى تئن بالألم تجمد العقارب مكانها . .

الوجدان السعيد بنبضاته التى ترقص فرحا تدفع العقارب دفعا . .

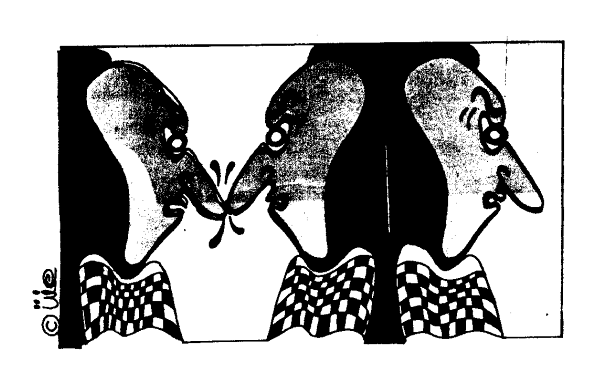
● ● ● ●

• الفصل السابع •

• الغيرة المرضية :

البحث عن :

علاج لجروح النفس !



أحيانا يبحث الانسان عن حل لمشكلته وهو يعلم عن يقين الا حل لها . .

لذلك فإنها حين بدات تتكلم كان صوتها يجسد معنى كلمة اليأس . . ويأس إنسان يمكن ان تتعرف عليه من نبرات الصوت ، مثلما يمكن التعرف عليه من ملامح الوجه وخاصة العينين حين ينطفىء بريقهما . . كما في حالة الموت . . فنبض الحياة يضفى على العينين بريقا خاصا . . حين ينطفىء البريق فهذا يعنى الموت أو اليأس . . اذن اليأس شكل من اشكال الموت . . موت الأمل . .

● قالت :

ما افظع ان يشك انسان في اخلاصك . .

في البداية لم اكن افهم معنى نظراته وتصرفاته الغريبة . . نظراته احيانا كانت تخيفنى رغم عدم فهمى لمغزاها . . كل ما كنت اشعر به انها نظرات تجردت تماما من الحب . . نظرات جامدة كأنها تفحص أو تبحث عن شيء بإمعان . . تبحث عن شيء خفى . . كان يركز نظراته في عينى وكأنه يريد ان يخترقهما ليقرأ ما يدور في رأسى . . كانت النظرات الجامدة الفاحصة تتبعنى في كل حركاتى . . كنت اشعر بها تخترقنى حين كنت اعطى ظهرى له .

. . وسرعان ما تتبدل إلى نظرات ودودة . . مفرطة في الود ، وكأنها تحمل إعتذارا على ما بدا منها . .

. . افزعنى اكثر سلوكه الغريب . . يعد العدة لسفر عمل يستغرق اياما ثم يفاجئنى بالحضور على غير موعد . . يخرج لعمله ثم يعود بعد ساعتين رغم حساسية مسؤليته متحججا انه مريض . . افاجأ به على مقربة من مكان عملى . . وفي البداية علل ذلك بالمصادفة ثم بوجود إرتباطات قريبة من هذا المكان. . وبعد ذلك عجز عن التعليل الذى لم اكن أطلبه منه . . وإنما كان يتطوع بتقديمه وكأنه كان يشعر

بحرج . . ولو كنت سيئة الظن . . . ـ فى هذا الوقت ـ لاعتقدت انه يراقبنى . .

إذا رن جرس التليفون بالمنزل كان يقفز اليه دون مبرر من مسافة بعيدة ليرد هو . . وإذا تعذر عليه ذلك كنت اجده فوق راسى وأنا أرد . .

تطور الامر بعد ذلك الى تعليقات ضايقتنى تتعلق بملابسى وزينتى وخاصة فى حالة خروجى منفردة . . ولكن يعتذر فى كل مرة رغم سوء وسخافة تعليقاته . . وكانت كلها تدور حول المحظوظ الذى اتزين له واستعد لمقابلته . . وحين عودتى كان يتاملنى بنظراته الجامدة الغريبة ، وكان يفزعنى اقترابه منى بطريقة غير مألوفة لم افهم وقتها انه كان يحاول ان يشم منى شيئا معنيا . .

. . انفجر الموقف وتكشف فى الامر تماما حين عدت يوما متاخرة قليلا عن المعتاد لظروف عملى . . وجدته واقفا خلف الباب . . انخلع قلبى هذه المرة لنظرات عينيه التى كانت تعكس عدوانا لم اخطئه . .

نزلت الصاعقة فوق راسى حين قال بصوت شرس :

مع من كنت . . ؟ . . لم استطع الاجابة . . كان كل ما بداخلى يهتز . . لوى زراعى وقرب وجهه من وجهى : شعرك مهوش ومكياجك مختلف عن الحالة التى خرجت بها . . وايضا ملابسك . . إعترفى . . مع من كنت . ؟ من هو . ؟ . . من هو . . ؟

بقوة لم اعهدها فى نفسى خصلت زراعى منه وانطلقت الى حجرتى مغلقة بابها خلفى بالمفتاح . . لم اكن خائفة بقدر ما كنت مدهوشة عاجزة عن التفكير تماما . . اندفع خلفى وكاد يكسر الباب . فتحت له ووقفت امامه بهدوء لم اتعمده . . كنت كالميتة . . فجاة تغيرت حالته تماما . . هدأ كما تهدأ عاصفة على غير توقع . . وظل على مدى ساعة يعتذر وانا مستمرة فى حالة صمت غير متعمد . .

كنت عاجزة عن ان انطق بحرف . . حتى دموعى لم أفهم سر

انهمارها فبكل تاكيد لم اكن اشعر باى حزن فى هذا الوقت . .
تحسنت الأحوال بعد أيام وعاد شبه طبيعى . . وبدات انا شخصيا انسى . . حتى جاء يوم اسود . . جاء من الخارج واندفع الى حجرة النوم . . هرعت خلفه فوجدته واقفا على راس السرير . . طلب منى ان افسر سر التغيير الذى حدث فى ترتيبه الذى كان عليه وقت خروجه . . مال على الفراش واخذ يشمه بطريقة غريبة . . دفعنى لأشم معه متسائلا عن هذه الرائحة الغريبة التى تنبعث منه . . انها رائحة رجل غريب . . إعترفى يا . . . .

تركت المنزل الى بيت اسرتى مصممة على عدم العودة . . طلبت الطلاق . . توسل واعتذر . . اظهر توبة نهائية . . اقسم بكل شىء على عدم العودة الى هذا السلوك . . صفحت وعدت . .

تسالنى لماذا رجعت . . رجعت لأنى كنت احبه . . والحب يسمح لك بقدرة أكثر على المغفرة وان تنسى الاساءة . . وتصورت اننى ربما اكون المسئولة عن سلوكه . . قطعت صلاتى بمعظم الناس . . لم اكن أخرج إلا للضرورة القصوى . . امتنعت عن استعمال مساحيق لوجهى . . وهدات حياتنا تماما . . واعتقدت اننى نجحت فى علاجه وفى المحافظة على حياتنا معا . . حتى جاء يوم اكثر سوادا من اى يوم مر فى حياتى . . فاجأنى ايضا على غير توقع . . طلب منى ان انزل معه فورا . .

— إلى اين . . ؟

● إلى حيث اثبت خيانتك يا . . .

— عدت إلى الهذيان مرة اخرى . .

● المعمل سيثبت كل شىء .

— أى معمل ؟ .

● اعرف انه كان معك الآن قبل حضورى . . الخيانة الكاملة وقعت

الآن . . هذه هى فرصتى الوحيدة لأخذ عينة من داخلك تثبت معاشرته لك . .

اندفعت بغير وعى إلى الشارع وهو خلفى . . انهال على ضربا . . خلصونى منه وذهبت إلى بيت اهلى . .

الحياة معه مستحيلة ليست فقط لصعوبتها وخطورتها . . ولكن اكثر لان قلبى قد مات . . المضحك انه عاد يبكى من جديد طالبا الصفح . .

● تسألنى ياطبيب ماذا انتظره منك . . ؟

— أريد منك ان تشفى جروح نفسى . .

— اريدك ان تساعدنى على الخلاص منه . .

— اريدك ان تساعده . . ابدى استعدادا للمجىء اليك . . فهل هو مريض ! !

بداية اجيبك ياسيدتى على سؤلك الثالث . . وبعدها نحاول معا ان نجد الطريق لمساعدتك ومساعدته . .

— هل هو مريض . . ؟

— نعم . . هو بلا شك مريض . . انها الغيرة المرضية . . والشعور بالغيرة حالة وجدانية . . اى انها مرتبطة بعواطف الانسان . . وهى لغة عالمية . . فى الكبار والاطفال . . النساء والرجال . . وايضا الحيوانات . . ويصعب على ان اضع لك تعريفا للغيرة . . ولكننى استطيع ان اصفها لك . . لقد حاول الفلاسفة والشعراء والأدباء والفنانون وايضا الاطباء . . كلهم وصفوها بدقة اكثر مما عرفوها . هى اقرب ما تكون الى الخوف . . الخوف المرتبط بالرغبة فى الحفاظ على شىء يمتلكه الانسان . . الخوف من الفقدان . . كالاحساس بالأسى حينما يفقد الانسان شيئا عزيزا عليه . .

● الانسان هنا يشعر انه مهدد بان يفقد هذا الشىء الذى يمتلكه . . هناك إنسان آخر يريد ان يستحوذ على ما يمتلكه . . فالتهديد قادم

من إنسان آخر . . هذا الانسان الآخر متميز عنه والا لما نجح في ان يستميل زوجته . . وايضا التهديد قادم من الزوجة . . فهي قد اختارت . . اختارت ان تتركه . . واختارت الشخص الاخر . . هو يحبها ولكنه يكرهها ايضا . . يكرهها لانها اكدت احساسه بالعجز أو على الاقل بانه اقل من الانسان الذى اختارته . . اذن فهناك خليط من الحب والكراهية . . والكراهية تولد الغضب . . اذن شعور الغيرة هو خليط من العواطف . .

....

. . والانسان الذى لا تنتابه مشاعر الغيرة هو إنسان متبلد وجدانيا . . هذا الانسان تكون علاقته بالناس وبالأشياء ميتة . . فهو لا يسعى من اجل ان يمتلك شيئا . . واذا امتلك شيئا لا يحافظ عليه ، فهو لا يستشعر الخوف من احتمال فقدان هذا الشيء . . واذا فقده فانه لا يشعر بالاسى . . الانسان المتبلد وجدانيا ليس له طموح ولا يسعى من اجل التفوق . . والسعي من اجل التفوق هو محاولة إمتلاك مالا يستطيع ان يمتلكه الآخرون . .

إنها المنافسة من أجل الحصول على هذا الشيء . . كالطالب الذى يسعى من أجل ان يكون الأول . . أو كالفرقة الرياضية التى تسعى من أجل الحصول على الكأس أو الذى يدخل فى مسابقة من اجل الحصول على وظيفة أو جائزة . . الانسان فى كل هذه الحالات يحاول ان يتغلب وان ينتصر على ضعفه الموروث . . التغلب على احساسه بالعجز . . واذا امتلك الانسان الشيء الذى سعى اليه فانه يحافظ عليه لكى يستمر فى حالة معنوية مرتفعة وليؤكد احقيته بهذا الشيء . . انه الطموح من أجل التفوق النابع من إحساس الانسان بالضعف والعجز . .

. . والحب هو انتصار الانسان على الخوف . . اى هو الطمأنينة . . والزواج تاكيد لذلك . . ولذلك فإن كل طرف يشعر انه امتلك الطرف الاخر . . ملكية مطلقة لا يشاركه فيه احد . . ولأنها اختارته فهو الأكفأ

والأحسن . . ولانه اختارها فهى الأفضل والأجمل . . ولذا فكل طرف يشعر باهليته واحقيته فى هذا الامتلاك . . وعليه بعد ذلك ان يحافظ على ما امتلك . .

الحب تملك . . والزواج توثيق لهذا التملك . . أو هو وسيلة للتأكيد . . وايضا وسيلة لتحذير الاخرين بالا يقتربوا . . تثور الزوجة اذا اكتشفت ان زوجها قد خلع « الدبلة » من اصبعه . . اول ما يتبادر الى ذهنها ان ذلك يمثل دعوة لواحدة اخرى بأن تقترب موهما إياها انه غير متزوج . .

الدبلة رمز لامتلاكها له . . انى صاحبة الحق الوحيد فى امتلاك هذا الرجل . . اعرف سيدة تدهورت حالتها الى حد الغيرة المرضية وكانت البداية هى خلع زوجها للدبلة متحججا انها تسبب له حساسية فى اصبعه . .

اذن فهناك غيرة طبيعية لدى كل إنسان . . وكما اوضحت فهى موجودة عند الطفل ايضا . . فالطفل دائما يريد ان يأخذ ما يمتلكه طفل اخر . . كما انه لا يتنازل اطلاقا عن اى شىء يمتلكه . . وأيضا فانه يباهى بما يمتلكه . . ويريد ان يؤكد دائما ان ما يمتلكه هو الأفضل والأحسن . . والطفل يغير من أبيه إذا اقترب من أمه . . فهو يعتبر أمه ملكية خاصة له ، ويستنكر مشاركة الأب فيها . .

بعض الناس تكون هذه الغيرة الطبيعية متطرفة وزائدة عندهم . . وذلك يحدث فى بعض الشخصيات التى تتسم بشكل عام بالحساسية الزائدة والشك والمشاعر الاضطهادية التى تظهر فى مواجهة اى ضغط ، او عند الاحساس بالاحباط . . والحساسية الزائدة قد يكون مصدرها بؤرة مدفونة اساسها الاحساس بالعجز أو بالحقارة أو بالدونية . . فكلما زاد إحساس الانسان بالعجز . . اخذت الغيرة عنده ابعادا متطرفة تصل الى حد الاساءة لمشاعر الطرف الآخر . . والتفاوت الشديد بين الطرفين يدعم ويغذى أحاسيس العجز . . أقصد التفاوت

الاجتماعى أو الاقتصادى أو التعليمى . . وخاصة اذا كان الرجل فى الوضع الأدنى . .

ولكن هذا النوع من الغيرة لا يدخل فى نطاق المرض . . فهذه الغيرة لها اسبابها المفهومة كما انها لا تنطوى على اتهام فعلى بالخيانة . . انما فقط تتعرض الزوجة للمضايقات وتضييق الخناق . . كمنعها من الخروج . أو من التحدث مع الاخرين . . ومحاسبتها إذا تبسطت أو ابتسمت وهكذا . .

ورغم انها ليست غيرة مرضية الا انها تسبب مشاكل فى الحياة الزوجية ، ومعاناة لكلا الطرفين . . وقد تنتهى الحياة الزوجية بالفشل . . أو على الاقل فقدان الحب والمودة بينهما . . وهو فشل افظع ولكنه مقنع . . فالطلاق الروحى اسوأ واكثر ايلاما من الطلاق الرسمى . .

اما زوجك ياسيدتى فهو يعانى من الغيرة المرضية . . والاساس فى الغيرة المرضية هو الاتهام بالخيانة الكاملة او بإحتمال أو إنتظار وقوعها . . الشىء المؤكد لديه ان هناك طرفا ثالثا . . فالمثلث هنا كامل الزوايا : الزوج والزوجة والعشيق . . الاعتقاد الراسخ هذا يدخل فى نطاق اضطرابات التفكير المرضية كالهذاءات او الضلالات . . ومعناها ان فكرة خاطئة تسيطر على ذهن المريض مقتنعا بصحتها . . ولا يمكن اقناعه بعدم صحتها . . والمريض هنا يحاول العثور على ادلة ليؤكد ويدلل على صحة اقتناعه . . اذن محاولة الحصول على دليل ليست من اجل ان يقتنع هو ذاته . . لقد تعدى هو هذه المرحلة . . انه واثق تماما من وقوع الخيانة . . الدليل يحتاجه ليدرأ عن نفسه الاتهام بانه واهم ، وانه خاطىء وان زوجته سيدة فاضلة . . يريد أن يثبت لها هى خيانتها . . يريد أن يثبت لها كذب ادعائها بانها لم تخنه . . أى أن المشكلة لا تبدأ بالشك ومحاولة العثور على دليل لقطع الشك باليقين . . فاليقين موجود منذ البداية . . ولذا فان أى محاولات لاثبات البراءة

من جانبها لا تجدى ، بل تثير استهزاءه . وربما تدعم ظنه ، ويعتبر أنها تحاول ان تغطى خيانتها وتلبس قناع البراءة الكاذب . .

وتاتى ادلته ضعيفة واهية او غير منطقية الا انها بالنسبة له تمثل ادلة قاطعة . . كأن يجد شعره على الوسادة ، او يجد الفراش غير مرتب ، او يشم منه رائحة غريبة ، او ان نظرات عينيها تتغير حين مقابلة انسان معين ، أو ان تصرفاتها بشكل عام توحى بأن هناك شخصا آخر ، أو انها غيرت نوع العطر الذى اعتادت على استخدامه ، أو انهما عند مرورهما بمكان معين تدير رأسها فى اتجاه معين ، ان لون وجهها يتغير حين يرن التليفون ، او تتلهف للرد على التليفون ، أو اعتذار الطالب بأن الرقم خطأ حين يرد هو ، أو ان صوتها تغير ويوحى بمشاعر حب جديد ، او انها تتأثر حين سماعها اغنية معينة ، أو انها تمتدح اخلاق وقدرات انسان معين ، او انه اكتشف خطابا مرسلا من صديقة لها ، ولكنه يحوى عبارات ذات مغزى ، أو ان زيارتها لبيت اسرتها قد زاد معدله فى الفترة الاخيرة . . الخ . . ورغم ضحالة هذه الادلة الا انها تعتبر قوية ونهائية بالنسبة له . .

وقد تكون هناك محاولة الحصول على اعتراف منها واحيانا يلجأ الى استعمال القوة للصحول على هذا الاعتراف حيث ان الرغبة فى الحصول على دليل تكون ملحة . ولا يهدأ لحظة من أجل الحصول على هذا الدليل . . ولذلك فإن كل سلوكه يدور فى هذا الاطار . . وهو الحصول على دليل مهما كلفه الثمن . .

ولا توجد حالة غيرة مرضية الا وقام صاحبها بالمراقبة ويتفرغ لذلك تفرغا كاملا او يكلف شخصا اخر بهذه المهمة مهما كان الثمن أيضا . .

سلوكه الجنسى يتغير مع الحالة ويزيد فى طلب معاشرة زوجته حتى يبعدها عن عيشقها . .

والمريض بهذا النوع من الغيرة قد لا تكون لديه اى علامات مرضية

اخرى . . فيبدو كإنسان طبيعى تماما ، متكيفا في كل أمور حياته الا فيما يتعلق بهذا الموضوع . .

ولكن الغيرة المرضية قد تكون عرضا لمرض اخر كالادمان الكحلى ، أو ادمان الأفيون والكوكايين . . والسبب المباشر لها في حالة إدمان الخمور هو حالة الضعف الجنسى التى يصاب بها المدمن ، وكذلك نفور زوجته منه لادمانه . . هنا يعتقد انها على علاقه بإنسان أخر . .

مريض الفصام أيضا قد تكون احد اعراضه تلك الغيرة المرضية . .

مدرسة التحليل النفسى لها وجهة نظر اخرى في موضوع الغيرة المرضية . . فالانسان المصاب بهذه الحالة يعانى من الجنسية المثلية . . اى الرغبة في نفس الجنس ، ولكنها رغبة مكبوتة في اللاشعور . . ولانه لا يستطيع ان يفصح عنها لنفسه شعوريا ، فيقوم باسقاط الخيانة على زوجته . . فهو اساسا يحب هذا الرجل الذى يتوهم ان زوجته على علاقة به . . فبدلا من ان يقول انا احب هذا الرجل ، فانه يقول انا اكرهه لان زوجتى تحبه . . فالجنسية المثلية هى الاساس في كل مشاعر الاضطهاد المرضية . . اى انه يتخلص من مشاعر الجنسية المثلية من خلال عملية الإسقاط . .

وإذا بحثنا عن جذورها في الطفولة فاننا نجدها مبنية على الغيرة من الأب الذى استحوذ على الأم . .

....

— زوجك يعانى من حالة مرضية عقلية . . المرض له علاج . . والعلاج عن طريق العقاقير . .

● وهل العقاقير تغير في الشخصية ؟ .

— يبدو ان الامر قد اختلط عليك . . أو لعلى لم اكن واضحا في تحليلى لظاهرة الغيرة . .

هناك فرق بين المرض والشخصية . . « الغيرة المرضية » هى اضطراب في محتوى التفكير حيث تسيطر فكرة الخيانة . . تماما مثل

مريض الفصام الذى يعتقد انه مراقب او مضطهد . . وتلك هى الحالات التى يمكن علاجها بالعقاقير ، لان سببها إضطراب فى كمياء المخ . . اما الشخصية التى تكون الغيرة « غير الطبيعية » إحدى سماتها البارزة ، فالعلاج بالعقاقير لا يجدى معها . . هذا الانسان ليس مريضا ولكن شخصيته ذات سمات غير طبيعية . . وهذه هى إحدى مشكلات الطب النفسى . . فاضطرابات الشخصية غير مصنفة مع الامراض ، وبالتالى فليس لها علاج . . وبالتالى فاننى اقول ان حالة زوجك اسهل لانها مرض . . وذلك بالرغم من ان الغيرة فى الشخصية غير السوية تكاد تشابه الغيرة المرضية ، كالشك فى سوء السلوك ومحاولة الحصول على ادلة واللجوء الى العنف احيانا . .

وصدقينى ان الامر حين يصل الى الاتهام المباشر فانه يكون فى حالات كثيرة اهون من تلك النوعية التى نطلق عليها الغيرة « الغير مرضية » بالرغم من تطرفها . . الزوجة فى تلك النوعية تشعر دائما انها موضع شك . . يحاسبها على كل تصرفاتها . . يخنق حياتها . . يحجر على حريتها فى التعاملات الطبيعية والبسيطة التى لابد ان يتعرض لها كل انسان فى نشاطه اليومى العادى . . فمحظور عليها زيارة جارتها او حتى زيارة اسرتها بمفردها . . محظور عليها مجرد ان تتكلم مع زميلها فى العمل حتى وان كان الأمر يتعلق بالعمل نفسه . . محظور عليها الخروج بمفردها . . محظور عليها ان تضحك او حتى تبتسم . . محظور عليها ان تبدى رأيا او تعلق على رأى . . واذا حدث وتعدت حدود إحدى هذه المحظورات ، فان الموقف يشتعل الى مشلجرة توجه فيها الاهانات . . واحيانا الاعتداء الجسدى . . كل ذلك بدون اتهام مباشر أو ظن يقينى . . بأن هناك شخصا محددا فى حياتها . . هذا الزوج نفسه متأكد ان زوجته لا يرقى اليها الشك . . بل هو ذاته حين يصفو يؤكد لها ثقته التامة فيها . . وقد يعترف ـ وهذا نادرا . . ان المشكلة بداخله هو . . هكذا هو . . هذه شخصيته ، فهو .

لا يستطيع ان يقاوم مشاعر الغيرة الجامحة التى تأكل صدره ولكن المشكلة تتفاقم وتتصاعد حين يكون للزوجة بعض السلوكيات أو التصرفات التى تثير غيرته بحدة . . ولا اقصد هنا ان يكون سلوكها غير سوى . . ولكن حينما تكون شخصيتها انبساطية ، تتعامل مع الناس بسهولة وبساطة . . جريئة فى تصرفاتها . . وايضا حينما تبالغ فى مظهرها . . فى هذه الحالة فإن الم الشك يعذب الزوج ويدفعه فى احيان كثيرة الى التهور الذى قد لا تحمد عقباه ، وقد يؤدى الى أذى حقيقى للزوجة جسديا أو نفسيا . .

هذا الزوج بالرغم من انه ليس مريضا فانه يحتاج الى مساعدة . . فهو يعانى من اضطراب فى شخصيته ، اساسه اهتزاز ثقته بنفسه . . والانانية الشديدة والاحساس الدائم بالتهديد من فقدان ما يمتلكه . .

وبالرغم من اننا نصف حالة غير طبيعية الا اننا يجب ان نعترف ان هذه هى مشكلة الانسان . . اى انسان . . فمن منا يشعر بالثقة المطلقة التى بغير حدود ؟ . من منا يشعر بالطمانينة الكاملة فى انه لن يفقد ما يمتلكه ؟ . من يستطيع ان يدعى انه لايحب نفسه وانه يؤثر غيره على نفسه . ؟ وكما ان الانسان المريض أو الانسان صاحب الشخصية المضطربة لديه بؤرة ضعف ، بؤرة تولد الاحساس بالانحطاط والدونية . . فان كل انسان لديه احساس بانه عليه ان يجاهد للتغلب على ضعفه وخوفه . . ولهذا فقد يبالغ فى إظهار قوته وثقته بنفسه . . وكلما بالغ كلما كان هذا دليلا على شدة ضعفه وخوفه . . والانسان يولد وتولد معه احاسيس الضعف والخوف . . وهذا بعض شقائه على الارض فهو فى حالة مقاومة مستمرة لتلك المشاعر السلبية . . ولذلك فهو فى سعى دائم للحصول على القوة من خلال السلطة والمال . . والكلام عن التواضع والزهد هنا ليس له معنى . . وكل انسان يسعى بأسلوبه الخاص وحسب قدراته وامكانياته وبقدر ما تسمح به الظروف . . ولذا فان تغير الظروف تغير الانسان فعلا . .

والمقصود بتغير الظروف هنا ان تسنح الفرصة للانسان للتمرد على ضعفه وخوفه ، فينطلق مستبدا بسلطانه أو بماله ، ويمارس ضغوطه أو حتى طغيانه . . وكأنه ينتقم من فترات الضعف والخوف . . وبقدر ما كان يشعر بخوف وتهديد بقدر ما يبالغ في تخويف وتهديد الآخرين . .

....

والعلاقة بالجنس الآخر هي أحد المحاور الأساسية التي تشكل تهديدا للانسان وتغذى خوفه . . ففشل العلاقة أو حدوث خيانة يزعزع إحساس الانسان بقيمته وجدواه واحقيته في الحياة والبقاء . . انها طعنة لكيانه الجنسى كذكر أو كانثى . . والرجل يسعى الى السلطة والمال لتدعيم كيانه الجنسى الذكرى ، والمراة تسعى الى التزين والدهاء لتدعيم كيانها الجنسى الأنثوى . . ومع تطور الانسان فانه اهتم بالثقافة والفن ليسمو (يتسامى) في علاقته بالجنس الاخر ، ويرتفع بها فوق مستوى الجاذبية الجنسية . . وادخل مصطلحات الجاذبية الفكرية والروحية . . كل ذلك يفسر لنا مدى اهمية وايضا خطورة الغيرة في علاقة الرجل بالمراة . . وامكانية تحولها الى غيرة مرضية أو غيرة متطرفة غير عادية . . وهذا ما لايحدث في الغيرة في اشياء اخرى كالمنافسة . . فقط الغيرة الجنسية هي التي من الممكن ان تاخذ ابعادا مرضية أو غير طبيعية . .

....

قد نكتم الغيرة في صدورنا . . قد نعبر عنها بأساليب متحضرة . . قد نعبر عنها بشكل مباشر وصريح . . قد نعبر عنها بقسوة وتجريح . . وقد نمرض فنعبر عنها في صورة هذاءات وضلالات بأن الأمر قد وقع ، والخيانة قد تمت ! . .

●●●

● الفصل الثامن ●

● القمار

عندما أدمن آدم اللعبة !

● ● تحيرنى الأيام الأولى لآدم على الأرض . . كيف خطا أول خطوة . . وفى أى إتجاه سار . . وكيف حدد الاتجاه . . هل كان مطمئنا أم قلقا . . هل كان مطمئنا انه يمضى فى الطريق الصحيح أم كان قلقا لانه لا يعرف نتيجة تحركاته . . لم يكن هناك احد يستشيره ويسترشد به ويتلقى منه النصيحة . . كما لم تكن له خبرات سابقة على الأرض يستعين بها لتحديد حركته التالية . .

هل معنى هذا ان كل تحركاته كانت عشوائية . . وبالتالى فإن بعضها كان يصح وبعضها كان يخيب . .

آدم لم يكن يعرف علم الحساب ولا علم المنطق . . وهذا يعنى انه لم يكن باستطاعته ان يجرى حسابات من اجل الوصول الى نتائج

مضمونة ، ولم يكن قادرا على دراسة المقدمات من أجل تحقيق نتائج محدده . .

هل كانت حاله فى البداية كحالة من يبحث عن قطة سوداء فى حجرة مظلمة وهو معصوب العينين ، والقطة لم تكن موجودة اصلا ولكن كان عليه ان يبحث عنها . . وهل كان آدم سعيدا بحالته هذه أم كان يشعر بالبؤس والغبن ؟ . .

ولأن الحياة استمرت على الأرض حتى هذه اللحظة فهذا معناه ان آدم لم ينهزم وخاصة فى ايام الأولى . . وهذا يعنى انه تلقى تشجيعا حين حققت إحدى خطواته العشوائية فى البداية نجاحا وتوفيقا . . ولا شك ان خطوات اخرى جانبها التوفيق . . فإذا بدأ اليأس يتسرب إلى نفسه لاقى نجاحا فى خطوة تالية . . تجعله يستمر فى المحاولة . . وهكذا مضى به الحال : نجاح ثم فشل . . مكسب ثم خسارة . . امل ثم يأس . . حتى ادمن آدم اللعبة . . ولو تصورت ان كل خطواته لاقت نجاحا فى البداية لما كان هناك فرق بين الجنة والأرض . . ففى الجنة كل شىء مضمون . . ولا مجال للتخمين والمحاولة والتوقع . . ولو تصورت ان كل خطواته لاقت فشلا فى البداية لقرر آدم ان ينهى حياته لأنها ستكون مستحيلة على الأرض . ولا شك انه فى البداية كان . . يتحرك بحذر شديد . . خوفا وتحسبا لمفاجأة قاسية تقضى على حياته . . ولكن مما لا شك فيه ايضا ان بعض خطواته كانت جريئة . . كانت وثبات استلزمت قدرا كبيرا من الشجاعة ولعله كان مجبرا ان يخطو بعض هذه الخطوات الواثبة الشجاعة لأن التحدى امامه كان كبيرا . . التحدى لوجوده واستمراره وبقائه على الأرض . كان عليه ان يخاطر . . يخاطر بحياته من أجل إستمرار حياته . .

واستمرت الحياة . . واستفاد الأبناء من خبرات الأب . . وبدلا من ان يبحث الانسان فى حجرة مظلمة وهو معصوب العينين عن قطة سوداء غير موجودة اصبح لا يتحرك الا اذا كان مفتح العينين فى ضوء

ساطع ، ليبحث عن هدف محدد يقيم الدراسات من أجل تحديد موقعه بدقة . .

قلت التحديات أمام الانسان وإنعدمت الحاجة إلى المخاطرة ، وبالحسابات والمنطق أصبح قادرا على دراسة المقدمات ، وبالتالى أصبحت النتائج مؤكدة ومضمونة . .

استطاع الانسان ان يمسك بدقة كل شىء فى حياته . . العلم مكنه من التحكم والسيطرة بدقة ونظام فى كل أمور حياته . . إلا أمرا واحدا لم يستطع ان يروضه ويتحكم فيه : عواطفه . .

لأسباب خارجة عن إرادته : يفرح أو يحزن . . يقلق أو يطمئن . . يكتئب أو يبتهج . . يغضب أو يهدأ . . يحب أو يكره . . انها استجاباته الوجدانية للدنيا من حوله : الناس والأشياء . والعواطف لها هيمنه شبه مطلقة على السلوك . قد يستطيع أن يقاوم أحيانا . . ولكنها تقهره فى أحيان أخرى . . وخلق الانسان ضعيفا . . ضعيفا أمام عواطفه . . أمام غرائزه . . أمام رغباته ونزواته . . ضعيفا أمام الضغوط والهموم . . يقدم أحيانا ويهرب أحيانا أخرى . . ينتصر أحيانا وينهزم أحيانا أخرى . . وأصبح الصراع بشكل محورا تتوزع حوله رغباته المتنازعة المتعارضة . .

ويجىء المرض النفسى كوسيلة لحل الصراع أو الهروب من الصراع . . إنه الانسحاب من المعركة بدون مكسب أو خسارة . . بدون إنتصار أو هزيمة . . أى هو تأجيل القضية . .

وتجىء المخدرات كأسلوب آخر للهروب . . ويجىء القمار كأسلوب دفاعى إنهزامى للصراعات المضنية فى حياة الانسان .

● ● ●

● جاءت به زوجته إلى العيادة النفسية . .

متوسطة العمر . . جمالها أطفاه الشقاء والمعاناة . . سيطر على ملامحها التحفز والغضب . . أما وجهه فكان يعكس الأنقياد لها

والاستسلام . . لا عن ضعف . . ولكن ربما لاحساسه بالذنب تجاهها أو لحيرته في أمر نفسه فجاء مستسلما لها ومسلما نفسه طلبا للمساعدة .

وبدون ان ادعو أيهما للحديث ، بدأته هي بصوت متحفز غاضب :

— لابد ان تجد لنا حلا . . لقد حل بنا الخراب وسيضيع مستقبل أولادي . . فقدنا كل أموالنا ، وسنفقد عن قريب سمعتنا اذا زجوا به في السجن . . يقول متحججا أنه لا يستطيع ان يقاوم . . شيء خارج عن إرادته . . يشعر أنه مريض . . فهل هو مريض حقا ؟ . أم سيطرت عليه شياطين الضلالة فانحرف . .

صمتت فجأة ورمقته بنظرة تدعوه بها ليبدأ الحديث . . ورغم أنه كان مطرقا برأسه فلم يستقبل نظراتها ، إلا انه فهم ما أرادت وحرك شفتيه بكلمات لم أسمعها . . وادركت استحالة ان يتكلم في وجودها . . فطلبت منها ان تتركنا فأبت . . وإزاء إصراري الذي حمل تهديدا خفيا باعتذاري عن استمرار المقابلة غادرت الحجرة أكثر غضبا وتحفزا . .

● ● ●

يقول المقامر :

حين أجلس إلى منضدة اللعب لا توجد قوة على الأرض تستطيع ان تنتزعني من مقعدي . . شيء واحد يوقفني هو ان افقد كل نقودي . . بعدها تسترخي أعصابي وتهدأ نفسي وتخمد نار متأججة في صدري . . حينئذ يسبح جسدي بتلذذ في عرقه البارد . . بعض المتعاطفين ينظرون إلى بأسف لخسارتي الفادحة وأنا أنظر إلى نفسي بتشف يبعث على الارتياح ، وكأنني ألقيت بحمل ثقيل كان متمركزا في منتصف رأسي . . كل أنواع المخدرات والمهدئات ومضادات الكآبة فشلت ان تمنحني مثل هذا الشعور . .

تبدأ الرحلة منذ الصباح وأنا في طريقي إلى عملي . . ومضات خاطفة تلهب خيالي بسهرة الليلة وأنا جالس إلى منضدة القمار . . وأنا ممسك

بالأوراق . . وانا اتطلع فى قلق إلى عيون خصمى . .

أحاول ان ابعد ذهنى عن التصور . . تقوى إرادتى الواهية فاصمم كاذبا ان لن اذهب الليلة . . وحين اصل إلى قرارى هذا يداهمنى الحنين الجارف فاقرر الذهاب . . وهكذا اظل طوال يومى متأرجحا . . اذهب . . لا اذهب . . اذهب . . لا اذهب . . حين اقرر ألا اذهب يصعد الاكتئاب من صدرى إلى عنقى فاشعر بالاختناق . . حين اقرر ان اذهب ترتخى عضلاتى فاتنفس بهدوء ويرقص داخلى مبتهجا . . وحين تجىء اللحظة المنشودة استعد للخروج من المنزل . . اشعر كأننى منوم ، وان إرادتى فقدتها تماما . . لقد فشلت كل محاولات المقاومة ، فاشعر بالخوف . . إنه خوف المدمن الذى يدرك انه فقد سيطرته تماما وإستسلم للمخدر . .

المكان محصن إحتسابا لهجوم مفاجىء . . الهواء لا يتجدد فالنوافذ محكمة الاغلاق مختفية خلف ستائر كثيفة . . كثافة الدخان تؤثر على درجة الرؤية . . والجميع تعودوا ان يكونوا عمليين . . كل قادم يدخل فورا إلى مكانه المعتاد ويبدأ مباشرة فى الانضمام إلى اللاعبين . . دقائق وانسى كل شىء عن مقاومتى الفاشلة وإستسلامى الضعيف . . تعترينى حيوية لا أعهدها الا فى هذا المكان . . وتدريجيا يتصاعد إحساسى بقلق مثير ، وأمسك بالأوراق فى يدى فانفصل تماما عن العالم ، وينحصر مجال الرؤية لعينى فى يدى الممسكتين بأوراق اللعب وساحة الملعب ووجوه خصومى . . بل ان وجدانى وتفكيرى لا يخرجان ولو لثانية عن هذه المساحة . . قمة التركيز للحواس والأحاسيس . .

وكل لحظة تحمل إثارة تشد الاعصاب وتحدث اضطرابا فى حركة التنفس . . لحظة توزيع الأوراق . . لحظة إلتقاط الأوراق ثم النظر فيها بلهفة لمعرفة مدى قوتها . . لحظة النظر فى عيون من يحيطون بالمنضدة فردا فردا لاكتشاف نوعية أوراق كل منهم من عينيه وملامح وجهه . . والكل قد تدرب ان يظهر عكس الحقيقة . . فالذى خاب امله

فى أوراقه يظهر سعادة زائفة . . والذى جامله الحظ يظهر برودا . . وقد يبالغ فيظهر أسفا . . وعليك حينئذ ان تنفذ الى الحقيقة . . ان تتوقع . . ان تخمن . . ولا أحد يعرف ماذا سيحدث فى اللحظة التالية . . هناك مفاجاة فى كل لحظة . . يصدق توقعى فانتشى . . يخيب توقعى فتهبط معنوياتى . . يسوء موقفى فاقلق . . يسوء موقف الآخرين فاشعر بالقوة والثقة . . لحظة تمر فافقد الأمل فى المكسب هذه المرة . . لحظة أخرى تمر تحمل أملا فى انتصارى . . أنتصر فاشعر بلذة عارمه لا تمر بى إلا فى هذا الموقف . . أشعر بقامتى تعلو وعضلاتى تنتفخ . . أشعر كاننى ملك هذه المنضده . . ويتضاءل فى عينى كل الجالسين حولى . . تزيد لذتى حين ألحظ الحسره فى عيونهم . . يسعدنى حسدهم لى . . ومن قلب نشوتى بالانتصار يبرز قلقى من الدور القادم المجهول . . فهناك إحتمال الفشل فى المرة القادمة . . انتصارك مرة لا يعنى إنتصارك المؤكد فى المرة التالية . . لا شىء مؤكد . . لا شىء ثابت . . كالهدف المتحرك الذى تصوب ناحيته وأنت مغمض العينين . . قد تصيبه دون أن تقصد . . وقد تخطئه دون أن يكون لك ذنب فى ذلك . .

. . وحين اخسر وينخفض رصيدى اشعر بنار الغيظ تتأجج يغذيها قلقى وتوترى . . تسرع دقات قلبى . . ويزداد تلهفى لبداية دورة جديدة . . واخسر مرة ثانية وثالثة . . ويزداد تلهفى إلى مزيد من اللعب . . تمضى ساعات أظل ملتصقا بمقعدى بفعل قوة مغناطيسية من الصعب الخروج من مجالها . .

واعود لأكسب جولة . . ثم أخسر جولات . . وأستمر ويستمرون . . مربطون جميعا بحزام واحد لا يسمح بالخروج من أسرة الا من أجهز على آخر قروشه . . لا أهدأ . . لا استريح . . لا اتوقف عن اللعب الا بعد ان ينتهى كل ما معى من مال . . واخرج من الدائرة حيث لا مكان لى الآن . . ولا اذكر اننى فى اى مرة شعرت بالأسى على مالى

المفقود وكانني كنت العب باوراق مالية مزيفه او كانني كنت العب بأموال شخص آخر لا يهمني هو او ماله كأن هذه النقود لم تكن تخصني . . من يراني يشعر انني حزين لخسارتي . . ولكن احاسيسي الداخلية تكون شيئا مختلفا تماما . إذن لماذا جئت إلى هذا المكان . ؟ لو كان هدفي هو المكسب لشعرت بالحزن لخسارتي . . وأيضا ليس من المعقول انني اجيء لأخسر اى يكون هدفي ومطلبي هو الخسارة . .

صدقني انني لا اعرف لماذا اقامر ؟ . . كل الذى استطيع ان أقوله لك انها رغبة مسيطرة . . رغبة تهزمني . . اشعر بالخوف لاحساسي بفقد السيطرة ولكنني اذهب دون وعي . . اظل العب حتى أخسر . . بعدها اشعر بإرتياح غامض . . اشعر انني تخلصت من اثقال ناء بها جسدي . . ادخل منزلي كاللص الذى يحرص الا يشعر به أحد . .

موقفي المادى اصبح حرجا للغاية . . زوجتي تهدد بالطلاق . . ورغم كل ذلك فإنني لا استطيع ان اقاوم . . اشعر أن حياتي ستفقد كل معنى لها إذا توقفت عن اللعب . . فهل لديك ما تقدمه لي ياطبيب ؟ .

● ● ●

● ● هل يمكن ان نتراهن انا وأنت على تخمين الاتجاه الذى ستغيب منه الشمس اليوم أو الذى ستظهر منه صباح الغد ؟ . . طبعا هذا غير معقول . . وإذا حاولنا ستكون لعبة سخيفة بلا معنى تنتهي بأن نسخر من انفسنا ويشعر كل منا بالملل تجاه آخر . . وسوف تعطيني ظهرك وأعطيك ظهري . .

ولكننا نستطيع ان نذهب الملل عن انفسنا اذا حاولنا في لعبة اخرى . . سأخفي قطعة من النقود في إحدى يدى ثم أطبق كلتا يدى وأطلب منك ان تخمن في أى يد تختبىء قطعة النقود . . اذا لم تعرف عليك ان تدفع لي . . وإذا عرفت علي ان ادفع لك . . تصور موقفك في هذه اللعبة . . إنها لعبة لا تحتاج إلى تفكير او حسابات كما لا تحتاج الا أى مهارة . . كلتا يدى مطبقتان وتختفي في إحداهما قطعة

النقود . . إذن الموقف برمته مجهول بالنسبة لك . . وإذا اخترت إحدى اليدين فهذا مجرد تخمين منك غير قائم على اى اساس . . إختيارك لاحدى اليدين هو إختيار عشوائى . .

وانت تختار سوف تشعر بالتردد . . قد تقرر أن تختار اليد اليمنى . . ثم تتراجع لثوان وتقول لنفسك : قد تكون اليد اليسرى . . هنا تشعر بالقلق . . وإذا صح اختيارك سوف تشعر بفرحة كبرى لان تخمينك صدق . . لقد اصبت الهدف المتحرك وانت معصوب العينين . . إنها لذة تفوق الذى يصوب ناحية هدف ثابت وهو حاد النظر . . لقد عثرت على القطة السوداء فى الحجرة المظلمة وانت معصوب العينين . . إنه الانتصار على المجهول . . المجهول الذى يخيفنا . . المجهول الذى لا نعرف عنه شيئا . . المجهول الذى لا نعرف ماذا يخبىء لنا . . المجهول الذى يؤكد جهلنا وعجزنا . .

الانسان دائما يعشق توقع نتائج من أحداث عشوائية وهو على استعداد احيانا ان يخاطر بأمواله وحتى بحياته من أجل ان يتوقع شيئا وان يكون توقعه صحيحا . . وفى ذلك الانتصار على القلق . . قلق التحرك فى غرفة مظلمة معصوب العينين . . وفرحة العثور على القطة السوداء . . وهذه الحجرة المظلمة ندخلها بإرادتنا . . والعصابة نضعها على اعيننا بايدينا . . اى اننا نخاطر . .

● نخاطر لأن هذا عشق الانسان ليثبت انه قادر على سبر اغوار المجهول . . قادر على توقع نتائج صحيحة من خلال أحداث عشوائية .

● نخاطر من أجل كسر جبال الملل الجاثم فوق نفوسنا . . الاثارة تاتى من محاولة التوقع رغم عشوائية الموقف . .

● نخاطر لكى نذيب الاكتئاب المسيطر على نفوسنا ، فالاكتئاب موت وركود . . الاكتئاب كثلاجة الموتى تحتوى الانسان وهو حى . . ولا سبيل للهروب منها الا بلحظات إثارة تكون كالنار التى تتراجع أمامها الثلوج . .

● نخاطر . . فإذا فشلنا نشعر بشفاء نفوسنا التى يعذبها الاحساس بالندم لذنب إقترفناه . .

. . وهكذا القمار ياصاحبى . . فهو اتفاق بين شخصين او اكثر . . وينتقل المال من واحد إلى الآخر . . فمكسب انسان يكون على حساب خسارة انسان آخر . . ونتائج اللعبة تعتمد على المخاطرة فى موقف غير مؤكد . . اى ان النتائج غير معروفة . . هذه الرغبة غير مفهومة . . ولكن فى كل الاحوال الحصول على المال ليس هو الهدف . .

اقرأ لك سطورا من الدراسة التى قام بها عالم النفس الشهير فرويد عن الكاتب المبدع ديستوفسكى . . كتب فرويد يصف ديستوفسكى : « كان هدفه الأساسى اللعب فقط . . لم تكن هناك اى رغبة او طمع فى المال . . لم يكن ليهدأ أو يستريح أو يتوقف عن اللعب حتى يفقد كل ما لديه من مال . . كان القمار بالنسبة له عقابا للذات . . بمجرد ان يستريح ويتخلص من الاحساس بالذنب ويشعر انه عاقب نفسه بما فيه الكفاية . . حينئذ فقط يستطيع ان ينتج ويبدع . . »

. . القمار عرض وليس مرضا . . قد يكون عرضا لمرض الاكتئاب . . محاولة لبعث الحرارة فى ثلاجة الموتى التى تحتوى نفسه . . محاولة لبعث الحركة فى مجرى دمائه الراكدة . . محاولة لاثارة عاصفة تمحو بعض الأسن الذى غطى روحه . . المقامرة بالنقود وليس من أجل النقود . . ولابد من الخسارة لانها بديل الانتحار . . ولا علاج الا بعلاج الاكتئاب . .

. . وقد يكون القمار عرضا فى مرض الهوس . . والهوس عكس الاكتئاب تماما . . حيث الفرحة العارمه الزائفة والنشاط والحماس والاندفاع والانفصال عن الواقع وعدم ادراك العواقب . . مريض الهوس قد يبعثر نقوده فى الشارع بلا وعى وأيضا يبعثرها بلا وعى على مائدة القمار .

وقد يغرق الانسان نفسه على مائدة القمار للهروب من الضغوط

والمشاكل التى تحاصره . . ضغوط من كل جانب ومشاكل بلا حلول . . بعضها مشاكل عاطفية . . بعضها مشاكل زوجية والمقامرة هنا تكون وسيلة لمعاقبة الطرف الآخر . .

. . والقمار قد يكون رغبة قهرية . . شىء يشبه مرض الوسواس القهرى حين تسيطر على الانسان فكرة أو رغبة اندفاعية لا يستطيع ان يقاومها . . رغبة قهرية وحنين إلى اللعب مع الشعور بالخوف لانه فقد السيطرة . . ويظل يلعب حتى يفقد ماله او يتعرض للسجن . . وهنا تزيد الرغبة العارمة . . هذا النوع هو الذى يسبب اكثر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . . واذا كان يشغل منصبا حساسا يظل يلعب لسنوات دون أن يكتشف احد امره . .

. . والقمار أحيانا يكون وسيلة لعقاب الذات . . إنه الاحساس بالذنب المسيطر فى حالة الاكتئاب بالرغم من عدم وجود أعراض اكتئابية واضحة . .

. . وقد يكون فترة عابرة فى حياة الانسان تحت تاثير الاصدقاء . . المقامرة هنا تكون غير منتظمة . . ويمكن مقاومتها . . ويمكن ان يتوقف نهائيا اذا وجد مساندة ومساعدة من المحيطين من الذين يهمهم أمره عن حب . . القمار إذن ليس مرضا . . ولكنه سلوك مرضى لمعالجة مرض أخر او معاناة . .

بعض الحالات تحتاج إلى علاج طبى نفسى . .

بعض الحالات الأخرى تحتاج الى الحب . . الحب من انسان مخلص يحرص عليه لينتشله برفق وليس بغضب .

● ● ●

خرجت من حجرتى لانادى زوجته كى تشاركنا الحوار ولنتفق على خطة العلاج . فوجدتها قد غادرت العيادة . . حينئذ أدركت مصدر معاناة مريضى . .

● ● ●

• فقدان الشهية العصبى

البطولة المرضية !

. . بزوايا حادة برزت كل عظام وجهها ، فبدت عيونها غائرة ولكنها تلمع بنظرات تحد ورفض مسبق . . ورغم تخاذل الكتفين وتقوس الظهر وانسحاب الصدر إلا انها جلست بكبرياء معتدة بمظهرها الذى حرصت على اناقته . .

سأرفض اى دواء تصفه لى فانا لست مريضة . . أنا سليمة عقليا وجسديا . . وأما هذه السيدة (أشارت الى امها) فهى التى تحتاج الى علاج لعقلها . . تريدان تشوه جسدى بالطعام وانا لن اسمح بذلك . . تريدنى ان اكون متضخمة مثلها ليسخر الناس منى وينفروا من شكلى . . لن احيد عن نظام التغذية الذى قررته لنفسى . . وبفضله وصلت الى هذا الوزن المثالى . . أموت ولا يزداد وزنى جراما واحدا . . أشعر بسعادة بالغة حين انظر الآن الى المرآة . . هكذا يجب أن أكون . . أبدو رشيقة متناسقة . . اذا كنت ترى غير ذلك فهذه مشكلتك . . أن عيونى جميلة . . هكذا أشعر بالوفاق مع نفسى . . هكذا تهدأ نفسى . . كنت من قبل اكره نفسى واشمئز من جسدى . . كنت اخجل

منه . . اتوارى عن الناس . . وقتهاحقا كنت محتاجة لمساعدة من طبيب نفسى . . ما اسوأ ان يكره الانسان جسده . . ما اسوأ ان تمشى وتتحرك وروحك يحتويها جسد يثير نفورك . . وكانت عيون الناس تحمل كل المعانى المخجلة . . كان جسدى يقف حاجزا بينى وبين الناس . . كان يمنع عنى حبهم واهتمامهم . . تظن اننى كنت اخشى النفور الجنسى من الشباب . . كلا وبكل صدق . . إن هذا الأمر لا يعنينى بالمرة . .

انا الآن راضية عن نفسى . . مشكلتى الوحيدة هى أمى . . تحاول ان تهدم كل ما بذ من جهد . . تريدنى ان احشو معدتى بالطعام كما تفعل هى ليزداد وزنى . . إننى اعتبرها عدوتى لانها تريد قتل بمحاولاتها المستميتة معى . لقد كرهت جسدى حين كنت انظر إليها ، فارى بطنها متدلية على مسافة منها . . كنت اموت غيظا وقلقا حينما ارى سيدة تسبقها بطنها . .

وكنت وماازلت اعجب كيف تقبل انسانة الحياة وهى على هذه الصورة . . لكى يحب إنسان الحياة يجب أولاأن يحب نفسه . . ولكى يحب نفسه يجب أن يرضى عن شكله . . يجب ان يقبل جسده الذى يحمل افكاره ومشاعره . . بدون المرآة فإنك تكون علاقة مع جسدك . . تراه وتشعر به وتحدد موقفك منه . . إنه مرسوم فى عقلك ولهذا فإنك تراه وتدركه فى كل لحظة . . فإما ان تقبله وترضى عنه . . وإما ان تكرهه وتود الخلاص منه .

يكفينى ما اتناوله الآن من طعام . . امى تراه غير كاف . . وانت تراه مهلكا ولا يكفى طفلة رضيع . . انت ترانى نحيفة الى الحد الذى يهددنى بالأمراض . . وانا اشعر بنفسى ممتلئة طاقة وحيوية . . انت ترانى دميمة لنحافتى وانا ارى نفسى جملية لرشاقتى . . والأهم ياسيدى هو كيف ارى انا نفسى . . إنه جسدى انا وليس جسدك أو جسد أمى . . إنه قرارى انا وليس قرارك أو قرار أمى . . محاولات

امى ساقابلها بالعنف ويكفى ما نالنى منها . . ومحاولاتك سبوء بالفشل لأنى لن ازيد من طعامى ولن اتناول اى دواء .

● ● ●

● ● هى فتاة جامعية فى العشرين من عمرها . . جاءت بها أمها الى العيادة النفسية بعد محاولات إستمرت شهورا . . امتنعت عن الطعام تقريبا منذ اكثر من علم . . إنخفض وزنها من ٦٥ كجم الى ٣٨ كجم فى خلال هذا العام ، فصارت كمومياء إكتست عظامها بطبقة من الجلد . .

الحالة بدأت بتذمرها من وزنها الزائد . . أصبحت تكثر من النظر فى المرآة . . مزقت كل صورها . . بحثت بإصرار عن صور طفولتها . . هالها سمنتها الزائدة وهى طفلة . . ومن هنا بدأت توجه عدوانها تجاه أمها واتهمتها بأنها افرطت فى إطعامها وهى طفلة حتى صارت بهذا الحجم . . اصبحت لا تكف عن مهاجمة أمها . ولأول مرة بدأت تتفوه بألفاظ جارحة وبشكل علنى أصبحت تنتقد أمها بسبب سمنتها . . ثم بدأت تمتنع عن الطعام . . لم تحاول استشارة طبيب أو اتباع نظام معروف لخفض الوزن وانما توقفت عن الطعام تماما إلا من الماء وقليل من عصير الفواكه . . وانزعجت الاسرة لهذا التطور المفاجىء وفشلت كل محاولاتهم معها لاقناعها بخطورة ذلك على صحتها . . ومع الانخفاض السريع فى وزنها انقطعت الدورة الشهرية تماما . . ورغم الانخفاض الحاد فى وزنها إلا انها كانت كثيرة الحركة والنشاط . . وبل ان نشاطها قد زاد عن ذى قبل . . والشىء المثير للدهشة انها كانت من وقت لآخر تندفع لتلتهم كميات كبيرة من الطعام ، ولكن سرعان ماتفرغ كل محتويات معدتها بدفع أصبعها فى حلقها لتتقايأ ما أكلته . . ربما زاد قلق أسرتها أنها أدمنت تناول العقاقير المسهلة لكى تسرع من خفض وزنها . . وساءت العلاقة بينها وبين أمها بوجه خاص ، وكأنها كانت تتحدى أمها وتعاقبها بسلوكها هكذا . . أصبحت عنيدة الى حد الشراسة . . تتمادى فى طلباتها وتصمم على الحصول على كل ما تريد حتى وإن أرهق ذلك أسرتها . . وكانت ثورتها عنيفة اذا حدث تلكؤ

فى الاستجابة لطلباتها المبالغ فيها . . أصبح هناك صراع دائم بينها وبين أمها يدور حول الطعام .

● ● ●

● ● هذه الفتاة تعانى من حالة تعرف فى الطب النفسى بإسم « فقدان الشهية العصبى » . .

والحالة ليست فقدانا للشهية بقدر ما هى رفض للطعام . . فهى تشعر بآلام الجوع ولكنها بإصرار قوى مثير للدهشة تمتنع تماما عن الطعام إلا من كميات ضئيلة للغاية غالبا ما تكون فى صورة سوائل . .

وقد يكون وزنها معقولا ، ولكنها ترى نفسها سمينة . . إذن المشكلة هنا فى إدراكها ومفهومها لصورة جسمها . . أى ان هناك خللا فى صورتها عن نفسها . . صورة مستقرها المخ . . الانسان يرى نفسه من خلال هذه الصورة المرسومة فى المخ . . فهكذا ترى هى نفسها . . ولهذا فهناك اختبار يجرى فى مثل هذه الحالات يؤكد هذا المعنى . . وهو ان نطلب من المريض أن يرسم نفسه . . فاذا بالصورة التى يرسمها لنفسه تاتى اكبر من حجمه الحقيقى . . وهذا يوضح كيف يرى هو نفسه . . انه يراها اكبر من حجمه الحقيقى . . وبالتالى فحسب تصوره هذا فإنه يرغب فى تخفيض وزنه . .

كيف نصنف هذه الحالة . ؟ هل هى مرض نفسى أم مرض عقلى . . ؟

إلى الآن لا يوجد إتفاق . . فبعض العلماء يرى ان فقدان الشهية العصبى هو عرضا هستيرى . . والبعض يراه عرض لاكتئاب . . وفريق ثالث يعتقد انها حالة عقلية تعالج مثلما يعالج مرض الفصام . .

بعض الابحاث العضوية اكدت وجود خلل فى منطقة معينة فى المخ تعرف باسم « الهيبوثلاموس » . . وبعض الباحثين وجدوا خللا فى الغدد التى تفرز الهورمونات . . ولكن يعتقد ان ذلك يحدث من اثر الامتناع عن الطعام . . ومن العلامات المميزة والمصاحبة لهذه الحالة انقطاع الدورة الشهرية وظهور الشعر فى اماكن غير معتادة فى الجسم . .

ونسبة حدوث هذه الحالة فى الفتيات اكثر بكثير من حدوثها فى الذكور . . وهى عادة تظهر فى سن المراهقة او بعدها بقليل . . ولكنها لا تصيب البالغين او كبار السن . .

التحليل النفسى له وجهة نظر فى مثل هذه الحالات . . السمنة معناها الحمل . . والحمل ينشأ من علاقة جنسية . . إذن هذه الحالة تظهر نتيجة لخوف لا شعورى من العلاقة الجنسية . .

العلاقة الجنسية تشكل تهديدا فظيعا بالألم والاصابة والتشويه . . كما ان هذه العلاقة تمثل الخطيئة والاثم . . إذن فهى علاقة محاطة بالصراعات . . ولأنها تؤدى الى الحمل الذى يجعل الأنثى تبدو فى حجم متضخم وخاصة فى منطقة البطن . . فإن نفورها ينمو وينتقل الى خوف من السمنة . . ومحاولاتها لتخفيض وزنها هو درء الخطر والشبهة عن نفسها . . إذا اصبحت نحيلة فهذا يؤكد انها لسيت حاملا ، وانها لم تتعرض لتلك العلاقة مع الام بالذات . . فالأم هى التى تحمل . . وهذا الحمل يؤكد حدوث تلك العلاقة الجنسية . . إذن الأم تذكرها بإستمرار بأن هذا يمكن ان يحدث لها . . فإذا دفعتها امها لتناول الطعام فإن هذا يعنى ان امها تريد ان تعرضها لنفس المصير . .

وبعض الحالات يصاحبها عرض غريب . . فبينما تمتنع المريضة عن الطعام فإنها تجبر امها على تناول الطعام ، وخاصة الاصناف التى تسبب السمنة وكأنها بذلك تعاقب امها . .

المثير للدهشة فى مثل هذه الحالات النادرة هو تلك القدرة الفائقة للمريضة فى الامتناع عن الطعام شبه الكامل لمدة طويلة . وهذا ما لايقدر عليه اى انسان سوى نفسيا وعقليا . . ومعنى الانسان السوى انه يتمتع بالارادة . . بالقدرة على اتخاذ موقف . . بالقدرة على السيطرة . . بالقدرة على المثابرة والاستمرارية . . الى مدى يستطيع هذا الانسان السوى ان يمتنع عن الطعام لمدة طويلة ؟ إن ذلك نراه فقط فى حالات الاضراب عن الطعام من اجل الدفاع عن مبدأ أو احتجاج

ضد ظلم وقع على الانسان ولا يملك أى وسيلة أخرى للدفاع أو الاحتجاج . . إذن الايمان بمدأ او فكرة ، والنضال من اجل الحق ، وضد الظلم ، يجعل ارادة الانسان من حديد . . يجعله يطيق ما لا يحتمل من عذاب وإن هدد ذلك حياته . . إنها تلك الشحنة العاطفية التى تتوهج داخل الانسان ، ليؤكد انه انسان صاحب مبدأ . . بذلك يؤكد انه انسان . . بذلك يعلو كثيرا فوق غرائزه الملدية الملحة فى كل لحظة . . لا شىء يطفىء الغرائز اكثر من عاطفة قوية . . فالايمان حالة وجدانية يتولد عنها طاقة تشكل إرادة الانسان وتجعله قادرا على استخدامها فى اقوى صورها والى حد السيطرة التامة على الطاقات البيولوجية . . إذن الغلبة للوجدان عند الانسان المؤمن . . والهزيمة التامة تكون للغرائز . . هنا يسعد الانسان بأروع الاحاسيس وهو الاحساس بذاته والاحساس بفاعليته وانه صاحب موقف لايلين ولا يحيد عنه . .

هل هذا يحدث ايضا فى تلك الحالة المرضية . . ؟

لو تاملنا سلوك مريض فقدان الشهية العصبى نرى انه اتخذ موقفا . . موقفا يتسم بالصلابة التامة . لا يحيد ولا يتزحزح عنه . . إنه صراع من أجل السيطرة استطاع ان يحقق فيه انتصارا . . إنه جهد لا يلين من أجل النحافة . . وتحقق له ما اراد . . وبذلك تحقق له الاحساس بالذات والاحساس بالفاعلية . . وانه استطاع ان يسيطر على اكثر الغرائز إلحاحا وقوة . .

من أين له هذه القوة وهو المريض . . ؟

لعل ذلك يكشف عن مدى أهمية وتاثير صورة الجسم المختزنة فى المخ ، وعن مدى ارتباط هذه الصورة بواجدان الانسان . . الطبيعى ان تكون هذه الصورة المرسومة بالداخل مطابقة للواقع . . أى تكون الصورة التى تراها عيون الناس هى نفس الصورة التى تراها انت بالمرآة ، وتكون مطابقة للصورة المرسومة فى الداخل . . وبذلك يكون

إدراكك للواقع سليما . . أى انك مرتبط بالواقع . . وهذا دليل السلامة العقلية . . قد تكون غير سعيد بهذه الصورة كما فى حالة السمنة الزائدة او النحافة الزائدة او الطول الشديد او القصر الشديد . . وقد تحاول ان تعدل فى شكل جسمك - إذا امكن ذلك - ولكن سلوكك سيكون داخل الاطار الطبيعى نظرا لارتباطك بالواقع . . فاذا اردت تخفيض وزنك نظرا لسمنة زائدة فانك ستتوقف عند حد معين . . وستدرك انت هذا الحد بشكله الحقيقى الذى يدركه الناس . . أما فى حالة فقدان الشهية العصبى فإن الأمريكون مختلفا . . فهناك عدم إدراك للواقع نظرا للخلل الذى اصاب الصورة الداخلية ، والتى تتضخم أكثر من الحقيقة . . إذن هناك انفصال بين الحقيقة او الواقع ، وبين صورة الجسم المرسومة فى المخ . . وذلك يؤدى الى الانفصال عن الواقع . . فاذا وقف أمام المرآة ليرسم نفسه جاءت الصورة متضخمة اكبر من الحقيقة فلقد رسم الصورة الداخلية وليس الصورة الحقيقية على سطح المرآة . . وهنا تتولد تلك الشحنة العاطفية الهائلة لتخلق صراعا من أجل السيطرة على شهوة الطعام . . فيرفض الطعام . . أى أنه أخذ موقفا . . والاصرار على الموقف يحتاج الى ارادة . . ارادة التحمل ، وإرادة اللاستمرار من أجل تحقيق الهدف . .

هذا معناه أن مريض فقدان الشهية العصبى يسعى من أجل الاحساس بالذات ، ومن أجل الاحساس بالفاعلية من خلال جهد لا يلين من أجل النحافة . . ويظل يذوى . . وقد يموت من شدة الضعف ، ولكنه لا يلين ولا يتراجع . . تماما مثل الذى يدافع عن مبدأ أو يحتج بالاضطراب عن الطعام . . كلاهما له صورة . . كلاهما له هدف . . كلاهما تحرك وجدانه ليشكل إرادته . . كلاهما لا يثنيه حتى الموت عن تحقيق هدفه . . ولكن . . ولكن احدهما بطل والآخر مريض . . أو فلنطلق عليه المريض البطل . . ولنطلق على الحالة البطولة المرضية . .

• الفصل العاشر •

• السمنة

انتحار لا شعورى !

بقدر ما يمتلك مريض « فقدان الشهية العصبى » من إرادة وقدرة على الامتناع عن الطعام ،فان مريض السمنة يفتقد لمثل هذه الارادة . .

تذهب السيدة البدينة الى الطبيب لكى يضع لها رجيما غذائيا ، وتلح عليه فى ان يكون قاسيا . . وتتناول العديد من الأدوية لتساعدها على خفض وزنها . . ويتحقق لها بعض ما ارادت . . وينخفض وزنها تدريجيا . .

ولكنها فجأة تفسد كل شيء وتلتهم في مرة واحدة كميات هائلة من الطعام ، ثم تهمل لفترة هذا الرجيم ويزداد وزنها مرة اخرى . . ثم تعود للطبيب آسفة ومتبرمة من وزنها راجية مرة اخرى وواعدة بان تلتزم هذه المرة . .

تتكرر هذه اللعبة عشرات المرات حتى تيأس لا من الرجيم ، ولكن من نفسها . . وتعترف بانها لا تستطيع ان تقاوم رغبتها العارمة في الطعام وخاصة اصنافا معينة معروف انها تسهم في زيادة الوزن . .

بعد عدة محاولات من الطبيب المختص بمثل هذه الحالات يقوم بتحويلها للطبيب النفسي . . وتبدى السيدة او الفتاة تعجبها . . فما علاقة الطب النفسي بالسمنة .

ولقد اكدت الأبحاث ان الانسانة البدنية تتمتع بسمات نفسية خاصة . . وان الزيادة في الوزن تحدث نتيجة لعوامل نفسية . . ومن منها تاتى مقاومة المريض لخفض وزنها . . فبالرغم من انها تظهر اخلاصا ونية صادقة ، الا ان كل شيء ينهار فجاة . . ومن النادر ان تنجح انسانة بدينة في خفض وزنها رغم ضيقها وتبرمها من شكلها . .

قد تنجح أحيانا ويصل وزنها الى حد معقول : وتنتظم في التزامها بنظام غذائي معين . ولكن فجاة ايضا تخل اخلالا شديدا بهذا النظام ، فتاكل ما تريد بنهم شديد . .

ومعظم البدينات يؤكدن ويقسمن انهن ياكلن اقل القليل ، وبالرغم من ذلك يزداد وزنهن . . ولكن الحقيقة غير ذلك . فالمشكلة دائما هى فقدان السيطرة التامة وعدم القدرة على مقاومة الرغبة العارمة في الطعام . . انه ضعف ارادة كامل امام الطعام . .

ونعود الى مريض فقدان الشهية العصبى فنراه يتمتع بارادة حديدية امام الطعام . . بينما مريض السمنة ليست له ارادة امام الطعام .

المريض الأول : يبغى النحافة . . ولهذا يمتنع عن الطعام . .
والسؤال هنا : ماذا يبغى مريض السمنة إذن ؟

الاجابة : انه لا يبغى شيئا ، ولكن الواضح ان السمنة ربما تحقق له توازنا نفسيا يحتاج إليه ، او تحميه من انهيار نفسى . . اى ان السمنة تؤدى وظيفة لصاحبها او لصاحبتها . . ولهذا يتشبث بها رغم انه يصرخ بعقله الواعى ويلعن بلسانه ، انه يكره شكله البدين ويسعى جديا للبحث عن وسائل لعلاج سمنته . . ولكنه يفشل . . اذن هناك قوى اخرى تمنعه من تحقيق ما يريده عقله الواعى وما ينطق به لسانه . . هذه القوى موجودة بكل تاكيد فى عقله الباطن . . فى اللا شعور . . قوى تبغى الحفاظ على هذه السمنة من اجل الحفاظ على صاحبها وحمايته من الانهيار النفسى . .

وهل يحدث اضطراب نفسى فعلا اذا بدا الرجيم يؤتى ثماره . . ؟

كل الأبحاث اكدت ذلك . . ففى اثناء فترة الرجيم ، ومع الانخفاض الملموس فى الوزن ، تكتئب المريضة . . تشعر بهبوط فى معنوياتها وفقدان للرغبة وبرود الاهتمامات . . وتشعر ايضا بحزن لا سبب له . .

● تقول المريضة : فى البداية كنت فرحة لنجاح خطة الرجيم . . انخفض وزنى بشكل سريع غير متوقع . . وجدت استحسانا وتشجيعا من الأهل والأصدقاء والطبيب ، وذلك زاد من حماس واصرارى . . فرحت اكثر باسترداد إرادتى المسلوبة . . وفجاة داهمنى حزن مخيف . . وكأن الكيلو جرامات التى فقدها جسمى تجمعت وتكومت فوق صدرى . . ازعجنى اختفاء الفرحة . . حاولت ان استجمع نفسى واصطنع فرحة كلما وقفت فوق الميزان الذى كان يشير الى نجاحى ، ولكنى كنت اشعر بالتبلد وكان الأمر لا يعنينى ، وان سيدة اخرى هى التى ينخفض وزنها ويتحسن شكلها . . لم اعد ارى أن وجهى بدا يسترد جماله الحقيقى الذى كان مختفيا تحت الشحوم . . بل كنت أراه



وقد اكتسى بالغم . . واحسست اننى اعيش فى فراغ . . كاننى اعيش فى صحراء لا يتحرك فوقها الا جسدى . . فشعرت بالعزلة . . وانتابتنى شتى المخاوف . . فادركت اننى عرضت نفسى للضياع . . فاندفعت بجنون نحو الطعام . . اكلت بلا وعى . . يداى وعيناى وشفتاى ولسانى وحلقى الجميع اشترك فى مظاهرة حب وترحيب بالطعام . . كاننى قابلت حبيبا هدنى الشوق اليه . .

فتشبثت به لا اريده ان يبتعد عنى . . حينئذ فقط بدا الهدوء يعود

الى نفسى الحزينة ، ليخفف من حزنها ، ويقضى على عزلتها ، ويذيب وحدتها . .

انقذنى الطعام من الضياع .

....

● قالت لى مريضة أخرى :

مع كل كيلو جرام انجح فى زحزحته بعيدا عن جسدى اشعر بمزيد من الثقة والطمانينة ، واتطلع بشغف الى المرآة ، ولتمنى لن اغمض عينى ثم افتحهما وقد عدت رشيقة .. رقيقة الطلعة . .

وبدا الحلم يتحول الى حقيقة واقعة حين اهتزت ملابسى فوق جسدى معلنة انها لم تعد تصلح لهذا الجسد الذى ابتعد عنها الى الداخل ، تاركا بينه وبينها مسافة مرئية ، تؤكد ان قدرا كبيرا من الكيلو جرامات قد تم التخلص منه . .

فى هذه اللحظة انتابتنى حالة قلق عنيفة . . شعرت بالتشبث وعدم القدرة على التركيز . . اصبحت عصبيتى واضحة للجميع . . لم اكن استطيع الاستقرار فى مكان واحد واستعصى على النوم . .

المؤلم اننى اصبحت عدوانية أعامل الناس بقسوة وجفاء ، حتى المقربين الى نفسى . . المؤلم اكثر اننى شعرت بروح العداء تملأنى ضدهم دون ذنب اقترفوه فى حقى . . كدت ان انهار . . كاد القلق ان يحطمنى . . وبحس غريزى عرفت اين الدواء . . فاندفعت بدون روية الى الطعام ، واكلت كل ما حرمت منه على مدى شهر . . وفى مرة واحدة اكلت من الكم ما اكلته على مدى هذا الشهر . . زال قلقى وكاننى ابتلعت كل المهدئات الموجودة فى العالم . .

إذن هذه هى الحالة النفسية التى مر بها مريض السمنة حين ينجح الرجيم الطعامى فى خفض وزنه . . هذه هى الأعراض النفسية التى يشعر بها أثناء اتباعه للرجيم :

الاكتئاب . . القلق . . زيادة العدوان والعداء . . المخاوف . .

الاحساس بالوحدة والعزلة والفراغ . . واحيانا زيادة الرغبة الجنسية وخاصة عند النساء . .

الطعام كان الدواء الذى ازال الاكتئاب والقلق . . وهذا يقربنا الى فهم اهمية الطعام بالنسبة لمريض السمنة . .

والقصة تبدا منذ الطفولة . . وربما فى الأيام الأولى بعد الولادة . . فاول علاقة بالأم كانت عن طريق الفم . . وهو بعد لا يدرك ذاته ولا يدرك انه انتقل من الرحم الى العالم الخارجى تحركت شفتاه بحثا عن ثدى امه . . تتحرك الرئتان فى البداية لاستنشاق اول جرعة هواء . . ثم تتحرك الحنجرة لاصدار اول صرخة بكاء احتفالا بنفسه لمجيئه . . ثم بعد ذلك تتحرك الشفتان . . وربما يجىء تحركهما استجابة لحركة داخلية غير مرئية من معدته . . وحين يلتقط الثدى بشفتيه يكف عن البكاء . . ثم اذا بكى بعد ذلك تحرك الثدى نحو فمه ليجده مفتوحا لاستقباله . ويصبح الطعام بذلك احد العوامل الرئيسية والأولية التى تشكل العلاقة العاطفية بين الأم والطفل . . ويحتل الطعام مركزا هاما فى إزالة التوتر عند الطفل . . ويصبح احد وسائل مكافاته لتاكيد سلوكه الحسن . . وفى كل المواقف التى يعانى منها الطفل لأى سبب ، يكون الطعام هو الوسيلة لازالة المعاناة . . ومع الوقت لا يستطيع الطفل ان يفرق بين حالة الجوع وبين الحالات الوجدانية المختلفة . . ففى كلتا الحالتين يجد امامه الطعام . . الطعام لازالة جوعه ، والطعام لمعالجة الحالة الوجدانية التى يمر بها . .

وبعد ذلك حين يكبر وحين يشعر بالخوف او الاكتئاب او الاثارة ، يصبح هو الوسيلة لتهدئة هذه المشاعر . . بينما المفروض ان يكون الاحتياج التلقائى هو الاتصال الانسانى . . وبذلك يحل الطعام محل الاتصال الانسانى لتخفيف مشاعر الخوف والاكتئاب والاثارة . . التلبية الوجدانية تصبح عن طريق الطعام . . بينما المفروض ان يكون دور الطعام هو تلبية احاسيس الجوع . .

ذلك تؤكده لى المريضة حين تقول :

تزداد شراهتى حين اشعر بالاكتئاب . . حين تضطرب مشاعرى باليأس فيمتلكها . . فيحجب عنى الأمل فى اى شىء حتى ازهد الأمل ذاته ثم انكر وجوده . . فتتراخى كل اجزاء جسدى الا معدتى التى تموء وتتلوى . . فآكل فلا اشعر بشبع فاظل آكل وآكل . . يعبر الطعام من فمى الى حلقى الى معدتى دون ان اشعر باى تذوق . . فلا احد يتذوق الدواء وانما يقذفه من فمه . .

وربما كان سبب عدم قدرتى على التذوق هو اننى لا اكون فى حالة وعيى الكاملة . . اذن تلذذى لا يكون من فمى . . وانما من معدتى حين تمتلىء وتمتلىء ، وكان مركز مقاومة الاكتئاب قد انتقل الى معدتى .

....

● وتقول لى مريضة اخرى :

اعيش فى بيت يزخر بافراده . . اعمل فى مكان يشبه خلية النحل . . ولكنى اشعر بالوحدة . . فانطلق الى ناد يختنق باعضائه . . فيؤكدوا احساسى بالوحدة . . فاشعر كان شيئا يزار داخلى . . شيئا يقرص معدتى فاشعر بالم لا يهدئه الا الطعام . . ومن عجب ان آلامى حين تختفى يبتعد عنى الاحساس المرير بالوحدة ، وكاننى وجدت فى الطعام صديقا ودوداً يؤنس وحدتى . . اشعر به ككائن يقيم حوارا معى .

....

● تقول سيدة اخرى :

حين اصطدم فاتور . . حين تنزل اخبار سيئة على سمعى ، فتثقل راسى وترهق نفسى . . حين تتوتر اعصابى انتظارا وتحفزا . . حين تهتز الأرض تحت اقدامى فتنعدم ثقتى بنفسى . . فى هذه الأحوال لا يهدأ من ثورتى وقلقى وارهاقى الا الطعام الذى احقنه كمخدر لأعصابى ، وكأن معدتى اصبحت المركز الذى يسيطر على الجهاز العصبى .

● الطعام فى هذه الحالات كان علاجا وتهدئة لآلام الاكتئاب والوحدة والاثارة .

كيف اكتسب الطعام هذا الدور . . ؟

كيف ارتبط بالاضطرابات الوجدانية التى قد يمر بها الانسان واصبح اسلوبا للتعامل مع هذه الاضطرابات . ؟

لعل هذا الارتباط موجود على مستوى العقل الباطن . . ارتباط تكون فى مرحلة مبكرة من العمر . . واكدته الأم فى علاقتها بطفلها . . تلك العلاقة التى كانت محكومة بقلق الأم وعدم احساسها بالاطمئنان ، ونوازعها النرجسية التى دفعتها الى اطعام طفلها ليصبح فى حالة تشعر فيها بالفخر وتمتدح من اجلها . .

وحين يكبر الطفل اصبح الطعام وزيادة الوزن يمثلان دفاعه الحصين ضد مشاعر الاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة وحالات الاثارة . .

ولذا تصبح كل محاولة لتخفيض الوزن بمثابة تحطيم لهذه الدفاعات مما يعرضه للكآبة والقلق . .

والتحليل النفسى يرجع السمنة والافراط فى الطعام الى صدمة فى المرحلة الفمية ـ حين كان الطفل يتعامل مع العالم ويدركه من خلال فمه . . حين كانت اللذة لا تاتيه الا من الفم . . اذا تعرض الطفل لصدمة فى هذه المرحلة فى صورة اهمال ونبذ وحرمان او حتى فى صورة ارضاء زائد عن الحد ، فان هذا الطفل يتثبت عند هذه المرحلة . . اى يقف نموه النفسى عند المرحلة الفمية . . ويظل يتعامل ويتفاعل مع العالم من خلال فمه ، ولا يستشعر اى لذة أو اى طمانينة الا من خلال فمه . . يصبح ما يلوكه الفم من طعام هو مصدر احتياجاته النفسية ، وتصبح السمنة هى رمز القوة التى تحميه من الآخرين . .

....

هناك تحليل آخر وهو ان مريض السمنة يعانى من خوف لا شعورى من اقامة علاقات اجتماعية . . انه يخشى النـاس ، ولذا يريد

ان يتحاشاهم . . ولذلك فان السمنة تبعده عن الناس ، وتبعد الناس عنه . .

وعلى مستوى اعمق من ذلك ، فهناك رغبة فى تحاشى الجنس الآخر بالذات وعدم الرغبة والخوف من اقامة علاقة جنسية معه . . وهنا ياتى دور السمنة فى اعاقة قيام مثل هذه العلاقة . .

ولقد اجريت دراسات عديدة عن شخصية الانسان البدين . . وكلهااجمعت على ان هذه الشخصية تتمتع بهذه الصفات : حب الذات والعناد وعدم القدرة على اقامة علاقات اجتماعية مرضية ومثمرة ، وعدم النشاط والسلبية والحساسية الزائدة ، وعدم النضج . . ولكنها تتسم بالذكاء المرتفع . .

مريضة السمنة تعلم انها وهى تاكل وتاكل فانها تزيد الأمور تعقيدا . . انها تلحق الضرر بنفسها عضويا بازدياد العبء على القلب ، وتتصلب الشرايين ، ويرتفع ضغط الدم ، وينهك الكبد ، وتتاكل المفاصل . . تعلم ان ذلك يزيد من تشويه صورتها فتتعرض للنقد وربما للسخرية ممن تجردت مشاعرهم من الذوق . . تعلم ان ذلك يزعج امها ويقلل من فرصة الارتباط العاطفى ، او ان ذلك يضايق زوجها . .

تعلم انها تسهم فى خلق جو من المشاعر السلبية حولها . . تعلم ان ذلك يضرها فى عملها . . تعلم ان ذلك يفسد علاقاتها الاجتماعية . .

. . ورغم كل ذلك فانها تاكل وتاكل . . وكان احساسها تبلد لياسها من استخدام ارادتها . . قد يشعر من يحيطون بها بالألم من اجلها والشفقة عليها ، ولكنها لا تشعر بنفس القدر نحو نفسها . . واذا اظهرت المًا فانه يكون سطحيا ، وكانها تتلذ بتحطيم نفسها وتعذيبها ، او بتعذيب من يهمهم امرها كالأم او الحبيب أو الزوج . .

انه انتحار لا شعورى . . وفى هذه الحالة يكون المريض محتاجا الى من يحميه من نفسه . . يحميه من تحطيم ذاته .

● ● ● ●

• الفصل الحادى عشر •

• هوس نزع الشعر



●● هذه الحالة تمثل صورة من صور إيذاء الذات .. عداء الانسان لنفسه .. عدوانه على جسده لتشويهه .. مستعملا يده هو التى تجرح اظافرها جلده حتى تدميه وتحدث جروحا تترك اثارا قد لا تمحى ..

وتمتد الأصابع للشعر فتنزعه من جذوره تاركة مساحات جرداء فى الراس كمن اصابه صلع مبكر او اصابه مرض ادى الى تساقط شعره ..

● يتالم الانسان لهذه الفتاة الجميلة ذات الخد المشوه ويتصور ان اعتداء وحشيا وقع عليها من يد آثمة اغمدت اظافرها فى جلدها . ويندهش غير مصدق ان هذه اليد هى يدها هى . كل فتاة فى عمرها او اى امراة فى اى عمر يقلقها شكلها ومظهرها وتحرص على ان تبدو فى اكمل واجمل صورة وتتالم الى حد الحسرة اذا اصابها ما يجرح جمالها .. وتبذل جهدا فى ان تعالج وتدارى عيوبا وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بجلدها .. ولكن هذه الفتاة عامدة متعمدة تسىء الى هذا الجلد وفى ابرز مكان تقع عليه عيون الناس ..

. يتالم الانسان ايضا ويتعاطف مع هذه الفتاة الجميلة الصغيرة

التى بدا شعرها فى التساقط فى هذه السن الغضه فظهرت مساحات فى راسها تشبه صلع الرجال . . يتصورها الانسان بائسة وباكية على مستقبلها الذى ضاع . . فما اهم شعر الانسان ومدى تاثيره على الشكل . .

....

ويندهش غير مصدق ان يدها هى قد تحولت الى مقص طائش تملكه الانتقام فراح ينتزع الشعر بلا هواده او رحمه . .

تقول الفتاة فى محاولة لان تصف حالتها : من الصعب ان اصف لك كيف اشعر قبل ان تمتد يدى الى راسى . . انها حالة من القهر لا استطيع مقاومتها . . رغبة عارمة تتملكنى لارفع يدى الى هذا الجزء من راسى لأعريه من شعره . . تتوتر يدى . . تتشابك الأصابع فى ضغط متبادل وكأنها تقاوم شيئا . . وكأنها تضغط على شىء تحتويه لتحطيمه . . وتدريجيا تتخاذل فتتباعد مستسلمة . . وفى نفس الوقت احس باشياء غريبة فى تلك المنطقة من راسى . . شىء يسرى تحت الجلد فيقلق جذور شعرى واكاد احس بكل شعره على حده . . يتركز كل الاحساس فى هذه المنطقة وتتحرك مشاعرى تجاهها وكانها تنادى او تستغيث فتهرع يدى إليها . . وعند هذه اللحظة ينصرف وعيى عنها . . وبدون ارادة أو فهم انتزع شعرة شعرة . . تتحرك أصابعى بمهارة لتلتقط كل شعره على حدة . . ولكن أصابعى لا تستسلم وتلجا الى العنف لنزعها ترفعها . . ثم تبسطها امام عينى فاشعر بالارتياح . . وتتعاون الأصابع فى لف الشعرة حول أحدها وكانها وقعت فى اسر لافكاك منه ثم يرفعوها لأسنانى لتقضمها او لانفى لتشمها . .

....

وتعاود الأصابع نشاطها مرة تلو مرة حتى تهدأ نفسى . . أو حين احس بألم شديد فى هذه المنطقة من الراس التى انتزع معظم ما فيه من الشعر فى مرة واحدة . .

● تسألنى ، ألا اخاف أن أفقد كل شعرى بهذه الطريقة . . أجيبك

باننى لا افكر فى هذا كثيرا . إننى احاول تغطيته او البس باروكة احيانا . . وإذا كنت خائفة حقا لما كررت هذا الأمر مئات المرات حتى فقدت نصف شعرى كما ترى . . اقول لك انها رغبة عارمة قهرية تدفعنى دفعا الى انتزاع شعرى . . إذا قاومتها اشعر بقلق وغيظ ولا تهدأ نفسى إلا بعد ان اشعر بالألم فى راسى . . بعد ان انزع أكبر قدر من الشعر .

لا أستطيع ان اقرأ او اكتب إلا واصابعى تمارس هوايتها فى شعرى . . وحين اتاهب للنوم . . وحين أكون وحيدة . . وحين يسرح خيالى بعيدا وتستولى على احلام اليقظة . . وحين اشعر بالغيظ من إنسان . . اجلس حزينة مهمومة لسبب ما او بدون سبب . . تنبهنى امى فاتوقف . . دهشتها تحولت الى قلق ثم الى غضب وأصبحت متفرغة لمراقبتى لتحول بين أصابعى وبين شعرى . .

....

● البعض قد ينزع شعر الحاجب او الرموش او الشنب . .

● الحالة قد تصيب الأطفال ايضا . . والتحليل النفسى يرى أن عدوان الطفل تجاه نفسه هو اساسا عدوان موجه الى الأب والأم لاهمالهما له . . وقد تمتد يده الى شعر طفل آخر يريد نزعه . . وهنا تجتمع المازوخية والسادية . .

● بعض الحالات تظهر فى مرض الفصام الاضطهادى . . ولكن فى معظالحالات لايوجد مرض عقلى . . وإنما تظهر الحالة فى شخصية تتسم بالعجز والاعتمادية تعانى صراعات نفسية ناشئة عن عجزها فى التعامل مع الناس والتكيف مع الواقع ومواجهة المشاكل والمواقف الصعبة . . والصراع ايضا بسبب عدم قدرتها على الاستقلال العاطفى . . فهناك الرغبة فى الاستقلال وعدم القدرة عليه فى نفس الوقت . .

البعض يرى ان نزع الشعر يحقق لذة نتيجة للألم المصاحب

فالصراعات التى تعانى منها هذه الحالة تدور حول موضع الجنس والاحساس بالذنب المصاحب له . .

. . نعود مرة أخرى الى تفحص مشاعر هذه الفتاة والغوص فى أعماقها . . ماذا تفعل بنفسها . . ؟ إنها تعتدى على نفسها . . وهذا يعنى انها تشعر بالعداء تجاه نفسها . . هذا العداء يولد لديها الرغبة فى الاعتداء . . وهو اعتداء جسيم يهدد جمالها . . نسترجع كلماتها فنجدها تقول انها لا تستطيع مقاومة هذه الرغبة . . وأنها حين تنزع شعرها تكون غير واعية . . ثم تهدأ مع كل شعرة تنتزعها . . ثم تقول فى النهاية انها لا تشعر بالأسى حتى بعد أن فقدت نصف شعرها وهنا تبرز عدة أسئلة : هل معقول ان يناصب الانسان نفسه العداء . . ؟ هل يمكن ان يعتدى الانسان على نفسه بهذه القوة فيشوه شكله . . ؟ إذا تفحصنا بدقة سنجد أن هذه الفتاة تحب نفسها . ، أو بمعنى أدق لا تحب إلا نفسها . . أى أن هناك حبا شديدا للذات لا يسمح بأى مشاعر تجاه الآخرين وذلك ما يعرف « بالنرجسية » . .

من هو الانسان النرجسى . ؟ الانسان النرجسى هو الذى لم تتح له فرصة ان يحب الآخرين . . وذلك لأن الآخرين لم يقدموا له أى حب . . ان ذلك يرجع الى مرحلة مبكرة من العمر . . فى الطفولة . . حين تعرضت مشاعر الطفل وعواطفه الى الايذاء . . فعواطف الطفل تجاه الآخرين تتكون من خلال عواطفهم نحوه . . فهو يجب أن يتلقى الحب أولا . . الحب غير المشروط . . ويجىء هذا الحب فى صورة الاهتمام والترحيب به . . ويجب أن يدعم هذا باستمرار ليتأكد من هذا الحب . . فإذا شعر بالاطمئنان فإنه يبادلهم الحب حتى يضمن استمرار عطائهم . . وبذلك يشعر بذاته كيانا مستقلا يأخذ ويعطى فى علاقة تبادلية عادلة . . يأخذ حبا ويعطى حبا . . والحب معناه أنه لن يتعرض للايذاء . . لن تجرح مشاعره . . وبذلك لن يحتاج الى ان يأخذ موقفا دفاعيا يشعر معه بالتهديد المستمر . . إذا تعرض الطفل للاهمال

العاطفى وجرحت مشاعره شعر بالتهديد . . ولهذا يجب أن يدافع باستمرار عن نفسه ضد اعتداء متوقع . . دفاعه عن نفسه يكون فى شكل تجميع وتوجيه كل طاقات الحب نحو نفسه . . وكأنه يقول : إذا لم تحبونى فإننى سوف أحب نفسى . . واستطرادا يقول : لو أحببت شخصا آخر فإن ذلك سوف يعرضنى للايذاء . . ولهذا فلن أحب أحدا الا نفسى . هذه النرجسية مع ما تحمله من حب لنفسه فقط فإنها تعنى أيضا أنه يحمل مشاعر العداء ضد المجتمع . . مشاعر العداء التى تولد رغبة التحطيم . . ولأنه لا يستطيع ذلك فإنه يوجه هذا العداء الى نفسه . . إيذاؤه لذاته هو رمز لرغبته الدفينة فى تحطيم الآخرين . . يا أيها الآخرون كم عانيت منكم . . عانيت صدكم وإهمالكم . . عانيت جحودكم وجمود عواطفكم . . تركتمونى وحيدا عاريا تلسعنى برودة شتاء حياتى المستمر . . تجمدت خطواتى ولم أستطع حتى ان أحبو نحوكم . . فجلست لحالى أرعاها وأغدق عليها حبا يواسيها . . حبا كنت أدخره لكم . . ولكن الويل لكم . . فبقدر حبى لنفسى بقدر كراهيتى لكم . . لكم العداء ولنفسى السلام . . وهذه نفسى أحطمها أمامكم لتعرفوا مدى فظاعة عدائى لكم ورغبتى فى تحطيمكم . . ذاتى أقسو عليها . . أؤذيها . . أشوهها رمزا ومعنى لرغبتى المكبوتة فى إيذائكم جميعا . . انظروا الى حتى تعرفوا ما أعانيه بسببكم وما أتمنى أن أفعله بكم . . انظروا الى يدى وهى تنتزع شعرى فأشعر بالألم فأستمر حتى يتم التشويه فتهدأ نفسى لأننى حققت رغبتى فى الانتقام منكم ممثلين فى نفسى . . . .

....

إذا أرهفنا السمع سنجد أنها وهى تنزع شعرها توجه نداء . . تستصرخ من أجل الاهتمام . . من أجل التعاطف . . من أجل أن تبادلهم ويبادلوها حبا .

....

قالت :

أشعر بالرعب حين يغضب مني . . أتصور أنه سيتركني ولا يعود . . حين يغضب لانشغاله أعتقد أنه سأم لقائي . . حين ألقاه فأجده متحفظا لا يبدى فرحة لرؤيتي ترتعد مشاعرى خشية ذبول حبه لى . .

أعيش فى قلق مستمر يزداد حدة مع كل لقاء وكل فراق . .

بعد أن يمضى أحس بالسأم تجاه كل شىء . . تثور أعصابى فيهرب الجميع من أمامى . . تتملكنى رغبة فى أن أعبث بوجهى . . انظر الى أصابعى فأجد آثار دماء فتزداد رغبتى الى المزيد من وجهى . . أمنع نفسى حتى أحتفظ بجمال وجهى له . . ولكن حين تكتئب نفسى بشدة لا أستطيع أن أقاوم وأستمر فى إيذاء وجهى بدون وعى . . هذه الحالة تتكرر فى كل مرة نفترق فيها . . .

....

قالت :

هل تتصور وأنا فى العشرين من عمرى أعيش مع أخت لى تصغرنى بثلاث سنوات بمفردنا . . أمى تركتنا ونحن أطفال لتلحق برجل آخر . . عشنا مع أبى وهو كاره للدنيا وكاره لنا . . تزوج وطلق ثم تزوج وطلق وتصور فى النهاية أننا وراء سبب عدم استقراره فقرر هجرتنا منذ عامين الى بلد بعيد ليجمع مالا ويرسل لنا منه الكثير . . انتقلنا من بيتنا الى بيت الجدة ثم الى بيت العم ثم الى بيتنا نعيش بمفردنا أنا وشقيقتى . . لم يهتم بنا أحد ، ولم يفزع أقرباء الدم خشية أن نسىء استغلال حرية لم نسع إليها . . وأسأنا استغلالها . . أرسلت الى والدى أخبره أننى سأتزوج وجاء رده متأخرا بالرفض بعد أن كنت قد طلقت . . سئمت حياتى وكرهت نفسى وازدادت كراهيتى لأبى وازددت حنقا على أمى . . إنسانة وحيدة أشعر بالشفقة تجاهها هى أختى التى إنزلقت أخيرا الى نفس طريقى . .

ومشكلتى الآن كما تراها على وجهى . . وانا نصف نائمة لا ارحم وجهى من اظافرى التى اتعمد إطالتها . . لقد تشوه وجهى تماما وجراح التجميل رفض مساعدتى إلا بعد ان اعالج نفسيا . .

....

قالت :

رقم (٦) يشير الى ترتيبى بين اشقائى وشقيقاتى . . ست اناث وثلاثة ذكور . . ولأن الحمل كان ثقيلا قرر والدى بعد ولادتى بشهر ان اعيش مع جدتى وخالى الأعزب . . تزوج خالى وماتت جدتى فانتقلت وانا فى السادسة للحياة مع احدى خالاتى التى حرمت من نعمة الأطفال . . وانا فى العاشرة قرر والدى فجأة ان انتقل للحياة معهم . . لم يرحب بى اخوتى واخواتى . . ولمست برودا فى مشاعر امى التى لم اشعر يوما انها امى . . اصابنى القىء لمدة سنة كاملة حار فيه الطب . . واخيرا نصح طبيب بعودتى الى بيت خالتى فتوقف القىء . . كان القىء يعاودنى فقط حين يجىء والدى لزيارتى فى بيت خالتى واتوجس انه قد ينتزعنى مرة اخرى منها . . سافر زوج خالتى فى إعارة ، وكان على خالتى ان تلحق به ، وكان على ان اعود الى بيتى . . اى بيت امى وابى . . منذ ذلك الحين وكنت فى الرابعة عشرة من عمرى وحتى اليوم وانا فى الخامسة والعشرين لم تتوقف اصابعى يوما عن العبث فى وجهى حتى الادماء . . وكما ترى فإن وجهى اصيب بتشوهات لاخلاص منها ولا رجعة عنها . . تنتابنى الحالة كلما جلست وحيدة . . عزائى فى وحدتى عبث اصابعى فى وجهى . . وحين لا افعل اشعر بالاختناق . .

....

ثلاثة نماذج لحالة إيذاء الذات عن طريق « تجريح الوجه » والخط المشترك بينها هو إفتقاد الحب او الشعور بالتهديد بفقد الحب . . وجذور الحالة ترجع الى مرحلة الطفولة . . وهى لا تختلف فى مضمونها

هناك تشابه في المضمون مع حالة « فقدان الشهية العصبي » وحالة « السمنة » . . والجسد هنا هو ضحية الوجدان المضطرب . . جسد المريض نفسه هو الهدف القريب الذى يصوب ناحيته نيران العداء بغية تحطيمه . . ولكن في الواقع ليس الهدف الحقيقى . . بل هو بديل الهدف المقصود بهذا العدوان . والمشكلة تبدأ حين لم تلب الاحتياجات النفسية للطفل . . فكبت مشاعره ولكن ظل هناك صراعا يحوم حولها في عقله الباطن . . حين كبر وتعرض لاحباطات مشابهة تململت جراحه القديمة وتضاعفت صراعاته واشتعلت أعصابه بقلق عصابى أحدث توترا لا يهدأ الا إذا إنتزع شعره أو جرح وجهه لو اكل بشراهه أو امتنع تماما عن الطعام .

فكيف يكون العلاج . ؟

العلاج يبدأ بأن نبحث عن الجذور العميقة لاحتياجات هذا الانسان التى احبطت . . نبحث عن اسباب الاحباط والصراعات التى عاشها وكبتها . . العلاج في ان نكشف الغطاء وننظر الى الداخل . . لو ساعدنا المريض على ان يرى اعماقه فهذه هى بداية الطريق . . البداية في أن يتكون لديه وعى بالأسباب التى تختفى وراء هذا العرض . . في ان يعرف أنه يعتدى على ذاته لأنه إنسان محبط لعدم اشباع رغباته واحتياجاته الأساسية فعاش وهو يغلى من الداخل بصراعات سببت له قلقا . .

والعلاج لا يهدف الى إزالة القلق ولكنه يهدف الى تقوية دفاعات المريض ضد القلق . . أى أن يقوى على السيطرة . . العلاج يهدف الى ترتيب مقابلات للانسان مع ذاته فتحدث مواجهة واقعية تضمن للانسان الرؤية الصحيحة لهذا الواقع وبالتالى يبدأ في تكوين دفاعات صحيحة وصحية . . وبذلك يستطيع الانسان أن يسيطر على قلقه ويصفى صراعاته ويحقق تكيفا مجزيا له يشبع احتياجاته الوجدانية .

● ● ● ●

● الفصل الثانى عشر ●

● هوس السرقة . .

أرجوك . . احمنى من نفسى ؟ !



● ● إستطاعت أسلاك التليفون ان تنقل بوضوح قدر الهم فى صوت الأم الحزينة وهى تقول باسف وأسى : لا أصدق ان ابنتى لصة . . لاشك انها مريضة . . جاءتنى أم صديقتها لتخبرنى ان ابنتى سرقت من بيتهم عشرة جنيهات . . وهذه هى المرة الثانية . . فى المرة الأولى شكوا فى أمرها . . فرتبوا لها طعما وراقبوها فى المرة الثانية واثبتوا عليها السرقة . . صرخت فى وجهها واتهمتها هى وإبنتها بـالكذب أو الجنون . . وباندفاع فتحت باب منزلى لتغادره مطرودة . . تماسكت

السيدة وقالت بهدوء : لقد جئت لمساعدتك ومساعدة إبنتك . . أنا أعلم أن ابنتك فى حقيبة يدها اضعاف هذا المبلغ التافه . .

. . احسست فى كلامها الصدق الذى جعلنى اتيقن ان ابنتى قد فعلتها . . ولكننى اصررت على خروجها لأثبت لها - بيأس - عدم تصديقى والذى يعنى أن ابنتى لم تسرق . . وبلا روية اندفعت بجنون ناحية إبنتى فوجدت دموعها أسبق من سؤالى . .

....

. . كصاعقة هبطت فجاة من السماء بلا إنذار . . دقت أجراس الانذار فى المتجر الكبير بإحدى العواصم الأوربية فاندفع رجل الشرطة نحو السيدة التى كانت فى طريقها الى خارج المتجر عبر الباب الذى دقت من عنده الأجراس . . وفى حجرة التفتيش اخرجوا من حقيبتها « بلوزة » لم تدفع ثمنها . . اراد زوجها أن يؤكد أن هناك خطأ ما . ولكنه قرأ فى وجه زوجته الحقيقة . . ولأن البلوزة كانت رخيصة الثمن متواضعة القيمة وأيضا لا تناسب مقاسها . . ولأنها كانت قد دفعت مئات الجنيهات لأشياء اشترتها فعلا من المتجر . . ولأنهم تحققوا من المكانة الاجتماعية المرموقة التى يشغلها زوجها فى بلده . . لذلك قرروا الافراج عنها . . ونصحوا زوجها بعلاجها عند عودتهما للوطن .

....

. . جلست امامى باعتدال شامخة الرأس باردة النظرات . توحى ملابسها والمجوهرات التى تدلت من أذنيها والتفت حول رقبتها وأحاطت بأصابعها بثراء وفير . . وأيضا أصيل عريق لحسن تناسق مظهرها . . الأمر الذى ساعد فى تضخيم هالة الكبرياء التى تشع منها . . ولكنها حين بدأت تتكلم بصوت متداع بانت كجبل من طين هش أخذ فى الانهيار لعدم تماسك داخله .

قالت : ارجوك إحمنى من نفسى . . لقد تعرضت اليوم لأقسى موقف فى حياتى . . أدركت معنى أن يتمنى الانسان فى موقف ما أن تنشق الأرض

لتبتلعه حتى وإن كان في ذلك هلاكه . . المعنى هنا انه يريد ان يهرب من تلك العيون التى تدينه وتشعره بالخزى .

كنت في زيارة اعز صديقاتى . . ذهبت لتعد لنا قهوة إعتدنا ان نشربها معا في لقاءات مودة . . عاودتنى حالة القلق التى اشعر بها عند كل زيارة لهذا المكان . . اخذ توترى الداخلى يتصاعد تدريجيا حتى وصل الى حلقى فشعرت بجفافه وكأنه انشق فتعرض لشمس حارقة . . إهتز كل جسدى وانتفض قلبى بعنف . . فدارت عينى في المكان . فبصرت زجاجة عطرها على مقربة منى . . داهمتنى الرغبة في اخذها . . حاولت أن اقاوم ولكننى فشلت مثل فشلى في مرات سابقة . . تحركت قدماى بلهفة وخوف . . وقعت يدى المشتاقة عليها فتلذذت بملمسها وأحسست بسعادة غامرة وزال عنى كل توترى . . فتحت حقيبة يدى بسرعة وإذا بصديقتى فوق راسى . . رمقتنى بنظرة تجمع فيها خليط من الدهشة والعتاب والاحتقار . . فانهارت أصابعى ووقعت زجاجة العطر على الأرض . وفاحت رائحة العار من العرق الذى بلل كل جسدى . .

قالت صديقتى بصوت فيه تهكم وحسرة : الآن زال عجبى وادركت سر إختفاء اشياء منى كل مرة تشرفينى بزيارتك . .

لا ادرى إذا كنت قد غادرت منزلها بإرادتى أم بناء على رغبة منها . .

أما وقد اكتشف أمرى . وهذا ما كنت أخشاه وأتوقعه . فلا مفر من أن تحاول أن تساعدنى .

....

. . تعرف الحالة في الطب النفسى باسم « جنون السرقة » . . وهى ليست بجنون وأيضا ليست بسرقة . . ولكن لأنها حالة غير سوية فقد أطلق عليها بتجاوز مخل جنونا . . ولانها تمثل اعتداء على ممتلكات الآخرين فقط أطلق عليها بتجاوز مخل سرقة . . فهى ليست جنونا لأن صاحبها لا يعانى من أى إضطراب في التفكير اى لا تسيطر عليه

الهذاءات أو الضلالات . كما لا يعانى من أى هلاوس . . بل أن شخصيته متماسكة وسلوكه الاجتماعى سوى . . ولا تبدو عليه أيه اعراض مرضية . .

وهى ليست سرقة لأن السارق يخطط . . وينوى . . ويرغب فى الشىء المسروق . ويستعمله ويستفيد به بعد إتمام السرقة . .

الحالة هنا مختلفة . . فالمريض يعانى . . يعانى من فشله المتكرر فى مقاومة رغبة ملحة بالسرقة . . اى أن هناك رغبة ملحة تدفعه ليمد يده . ولكنه يقاوم ويقاوم . . ولكنه يفشل فى مقاومته . . اى أن هناك قوتين متعارضتين . . قوة تدفعه للسرقة . . وقوة اخرى تحاول منعه لأن السرقة حرام . . ولأنها مخلة بالشرف . . ولكن رغبة السرقة تنتصر . ويفشل المريض فى مقاومتها فى كل مرة . .

اللص الحقيقى ليست لديه هذه القوة التى تقاوم رغبة السرقة . . ورغبة السرقة لا تاتى بشكل مفاجىء قهرى وملح . ولكنه يخطط لها . وقد يشترك معه آخرون . .

ومريضنا لا يقصد الشىء المسروق لذاته . . فهو لا يسرق بقصد إقتناء هذا الشىء او استعماله والاستفادة منه . . اى لا يسرق للقيمة المادية للشىء المسروق . . فالأشياء المسروقة إما أن ترمى أو ترد لأصحابها او يقوم بإخفائها للأبد . . اما اللص الحقيقى فهو يبغى الشىء المسروق للاستفادة المادية من ورائه . .

ومريضنا يملك المال لشراء هذا الشىء . . اى انه لا يعانى حرمانا ماديا . ويستطيع بسهولة أن يشترى هذا الشىء المسروق والذى قد لا يتجاوز ثمنه قروشا أو جنيهات معدودة . . فهو لا يسرق مثلا مئات أو الوف الجنيهات . وإنما قد يسرق عشرة جنيهات . . وهى لا تسرق فراءا ثمينا بآلاف الجنيهات . ولكنها تسرق بلوزة لايتجاوز ثمنها عشرة جنيهات . . وهذا يكشف لنا عن حقيقة هامة . وهى ان عملية السرقة هى الهدف وليس الشىء المسروق . لأنه فى كل الأحوال يكون شيئا تافها

هو فى غنى عنه . ويملك اكثر منه ويستطيع إقتناءه بالشراء بسهولة . .

كيف تتم عملية السرقة . . ؟

بلا اى تخطيط او إعداد او فكرة مسبقة . . وفجاة تقع عيناها على الشىء . . فيتصاعد داخلها وبسرعة الاحساس بالتوتر . . قد يصاحب ذلك أعراض فسيولوچية كسرعة ضربات القلب والعرق وجفاف الحلق وتزوغ عيناها . مع عدم القدرة على التركيز . . ولكنها تظل محتفظة بوعيها الكامل . . وتسيطر عليها رغبة قهرية فى سرقة هذا الشىء . . ولكنها تقاوم وتقاوم . . وفى النهاية تفشل مقاومتها . . فتتحرك بحذر نحو هذا الشىء . . وتنتهز الفرصة لتلتقطه بسرعة وتخفيه . . فى تلك اللحظة الحاسمة يزول عنها تماما التوتر . بل وتشعر بالاسترخاء والتلذذ وإحساس بالارضاء . . تماما كما يشعر العطشان بالارتواء . . إنها فعلا لحظة إرتواء لنفس قلقة متوترة . . الاحساس بزوال التوتر هو نفس الاحساس بإطفاء العطش . . التخلص من التوتر هو الذى يحقق الشعور بالرضى واللذة . . بعدها قد لا تشعر بالذنب . . ولكن فى بعض الأحيان يكون هناك إحساس بالتعاسة والاكتئاب والشعور بالذنب . . وقد يكون هناك قلق وخوف من العواقب . . ثم تنسى تماما الشىء الذى سرقته . . ولهذا تتخلص منه بسرعة . . قد تعيده الى أصحابه . . وقد تقذف به فى الطريق . . واحيانا تخفيه فى مكان مامون دون اى رغبة فى استعماله او الاحتياج له فى وقت لاحق . .

. . وتعاودها الحالة مرات ومرات . . ويصاحبها نفس الفشل . . وليس بالضرورة أن تسرق فى كل مرة من نفس المكان أو من نفس الأشخاص أو نفس الأشياء . . فهى لا تعرف متى ومن أين وممن ستسرق فى المرة القادمة . .

وتسأل نفسها بعد إتمام السرقة . . لماذا ؟ لماذا فعلت ذلك . . ؟ ولكنها لا تستطيع أن تجيب نفسها . . ولا تستطيع أن تجيب المحقق

إذا اكتشف أمرها . . ولا تستطيع أن تجيب الطبيب عن دوافعها الشعورية . . فالدوافع الحقيقية موجودة فى اللاشعور وهى لا تعرف عنها شيئا . . فهى حائرة من أمر نفسها . . فهى تعى وتدرك أن الانسان قد يسرق حين يكون محتاجا لما يسرقه أو يسرق لطمعه وشراهته . . يسرق لاضطراب فى أخلاقه وسلوكه . . ولكنها ليست كذلك . .

هل هى رغبة الحصول على أى شىء يملكه إنسان آخر . ؟ وهل ينطوى ذلك على رغبة فى إيذاء الآخرين حين تأخذ ما يمتلكون . ؟

بلا شك ليست هناك رغبة فى شىء محدد . . ولكنها الرغبة فى الفعل . . واللحظات الحاسمة هى تلك التى تلتقط فيها هذا الشىء . . والضحية قد تكون أعز صديقة أو شقيقة أو الوالدين . . وقد تتم السرقة من مكان عام كالنادى أو مكان العمل أو متجر كبير . . هى أكثر فى النساء . . وأكثر بعد سن الثلاثين . . غالبا ما تكون بين الأربعين والخمسين . . وتكثر أيضا فى مرحلة المراهقة وتحت سن العشرين . . والغريب أنها تزداد قبل الدورة الشهرية أو أثنائها . .

هناك تفسيرات نفسية عديدة . . ولكن السمة الغالبة أنها إنسانة تعانى من الوحدة والشعور بأنها منبوذة . . والسمة الغالبة أيضا أنها تعانى من قلق مزمن مع مشاعر مسيطرة بالتعاسة تصل فى بعض الحالات الى إكتئاب فعلى . . فكل الأبحاث أثبتت بشكل قاطع أن نسبة كبيرة من هذه الحالات يعانى من حالة إكتئاب . . وذلك يفسر السرقات التى تحدث من مرضى الاكتئاب والهوس الدورى . . ويفسر أيضا إرتفاع نسبة حدوثها قبل أو أثناء الدورة الشهرية . . ومن المعروف أن المرأة تعانى من إضطرابات إنفعالية أهمها الاكتئاب بسبب الدورة . .

فرويد يرى أن أى سارق لديه إحساس بالذنب على مستوى اللاشعور . وإنه بحاجة الى العقاب . . ولهذا فهو يسرق حتى يكتشف أمره ويتم عقابه . وبذلك يتخلص من مشاعر الذنب .

ولكن هناك إجماع بين المحللين النفسيين أن أصل المشكلة يرجع

الى مرحلة الطفولة حين يتعرض الطفل للاهمال وجرح المشاعر وافتقاد الحب . . الحب الذى يحقق الارضاء واللذة . . ولهذا يظل يعانى من الحرمان العاطفى . . الحرمان الذى تعرض له فى أهم مراحل نموه النفسى . . ولهذا فهو يسرق . . يسرق أى شىء لعل ذلك يحقق له حالة الارضاء . . إنه يأخذ من الآخرين أشياء كبديل لحبهم المفقود . .

إنها الرغبة فى امتلاك أشياء للحصول على قوة يحارب بها حالة فقده المعنويات . . هذا الانسان يفقد معنوياته بسرعة . . لأقل مؤثر خارجى تهبط معنوياته . . والمؤثر يأتى من خلال إضطراب علاقته بالآخرين ، خلاف أو صراع أو إهمال أو نبذ . . بسرعة يداهمه الاكتئاب . . يغوص قلبه الى أسفل . . ينطبق صدره . . يشعر بالجوع العاطفى . . يشعر بالاحتياج الى نظرة حنان او كلمة ود . . يشعر بالاحتياج الى الطمأنينة من خلال حب الآخرين واهتمامهم . . بسرعة ترتفع معنوياته من ابتسامة على وجه أو كلمة طيبة . . وبسرعة أيضا تنخفض المعنويات حين يفتقد هذه الأشياء . .

حين تتم عملية السرقة فإنه يأخذ شيئا ويمتلكه . . والسرقة تتم تحقيقا لرغبة قهرية . . أى أن هناك احتياجا ملحا . . وبعد أن يأخذ هذا الشىء تطمئن نفسه وتهدأ . . يشعر بالارضاء . . إنه بديل الارضاء العاطفى . . وبما أن السرقة تمثل عدوانا على الآخرين فهذا يعنى أن رغبة الامتلاك ليست خالصة لوحدها . وإنما يصاحبها رغبة عدوانية تجاه الآخرون . . فالآخرين هم الذين نبذوه وعزلوه وحرموه من الحب . .

إذن هى تعبير عن عدوان لاشعورى كامن . . عدوان سببه الألم والاحباط . . فمشكلة الانسان هى إنسان آخر أو مجموعة من الناس كان له أولهم تأثير سلبى فى حياته . وخاصة فى طفولته . . تركوا آثارا لجروح على جدار نفسه . . فأصبح حساسا لأى مشكلة إنسانية . . أصبح حساسا لموقف الآخرين منه ومشاعرهم تجاهه . . لا يستطيع

ان يصمد لغدر الآخرين أو تنكرهم له أو اتحادهم ضده . .

فساد الهواء السارى بينه وبينهم يخنق صدره بسهولة ويهدد حياته . . إختفاء نبرات الود من أصواتهم تحرق أذنيه . . نظرات العداء أو السخرية فى عيونهم تفقأ عينيه . . حين يولونه ظهورهم يشعر بالغربة والضياع . . حين ترفض أيديهم مصافحته تنهزم نفسه ويشعر بالضآلة . .

إذن هى حالة من الحساسية ورثها فى طفولته نتيجة لاضطراب العلاقة مع الأب والأم . . وتعاود الحساسية الظهور حين يتعرض لمواقف إنسانية مشابهة يشعر فيها بالوحدة والعزلة . . فيداهمه الاكتئاب . . ولا سبيل للتخلص من هذا الاكتئاب إلا أن يمد يده لشىء يمتلكه إنسان آخر . . إنها لحظة إثارة تحذر احاسيسه القلقة . . لحظة إثارة يحتاج اليها ليوقظ احاسيسه الراكدة بفعل الاكتئاب . . لحظة إثارة لرفع معنويات متداعية هبطت الى القاع . .

....

● تقول فتاة الجامعة التى سرقت من بيت صديقتها عشرة جنيهات :

هجرنا أبى منذ خمس عشرة سنة حين كان عمرى أربع سنوات لسوء معاملة أمى له . . عشت مع أمى وجدتى فى شبه قصر يزخر بحجراته الخاوية الباردة . . عللى كان حجرتى التى تفصلها مئات الأميال عن حجرة أمى التى عاشت فى عزلة بعد أن هرب منها زوجها . .

انقطعنا عن العالم وانقطع عنا . ولا أذكر يوما أن صديقا ودودا طرق بابنا . . وكل من يحاول أن يقترب منا هو من وجهة نظر أمى يطمع فينا ويريد إستغلالنا . . فالعالم كله سيىء مـلىء بالأشـرار والانتهازيين . . ولا اعتقد ان معاملتها لى إختلفت عن معاملتها مع أبى الذى فر بجلده . . لا شىء يعجبها منى . . مظهرى . . ملابسى . . سلوكى . . طريقتى فى التفكير . . وكان بيتنا كان مدرسة انا الطالبة

الوحيدة فيها وأمى كانت الناظرة التى تفرغت للطالبة اليتيمة . . فى أوقات كثيرة كنت اشعر انها تكرهنى لأنى اشابه أبى شكلا وعماتى سلوكا . . كانت دائما تنعى حظى وحظها لأنى اكتسب الصفات الوراثية لأسرة ابى . ولم ارث منها ومن اسرتها بعض فضائلهم الشكلية والسلوكية . . راودتنى كثيرا فكرة الهروب مثلما فعل أبى . . وحين كنت انهار واعترض كانت تبكى بضعف مؤكدة حبها لى وإننى الأمل الوحيد الباقى فى حياتها . وانها تريدنى أن أكون أحسن الناس . .

تنفست الصعداء حين التحقت بالجامعة لأرى العالم وأعايشه وإتعامل معه بحريتى وإرادتى . . ولكننى صدمت بعجزى عن التعامل مع الناس . . التعامل الذى يقتضى أن تعطى مثلما تاخذ . . احسست بالغربة والاختلاف . . شعرت إنى منبوذة وحيدة . . كنت اعود الى بيتى منهارة باكية وتصاعدت مشاعرى السلبية تجاه أمى وايقنت انها السبب فى عجزى . . كانت حجتها انها ارادت ان تحمينى من خبث الناس . . تماما مثل الأم التى تحمل طفلها لأنها تخشى عليه الوقوع والاصابة إذا حاول أن يمشى حتى تضمر عضلاته ويعجز عن المشى حين يكبر . . سيطر الاكتئاب على حياتى . ولم اكن استطيع أن اتكلم او اشكو . . حتى راودتنى الرغبة الملحة فى ان تمتد يدى الى اشياء لا تخصنى . . وكانت البداية مع اشياء أمى . . ولم تتصور إطلاقا اننى السارقة . . وفى كل مرة يختفى شىء كانت تتهم الخدم حتى فروا منها . وتحملت كل الأعباء بمفردها . .

وفى العام الجامعى الثانى نجحت فى إقامة علاقة مع صديقتين . . فهدأت نفسى وزال عنى هذا العرض السخيف . . ولكننى صدمت بعنف حينما ابتعدتا عنى . . واصبحتا اكثر إقترابا من بعضهما وتركانى وحيدة معزولة . . فساءت حالتى اكثر . واصابتنى مرارة دائمة . . وعاودتنى رغبة السرقة . . ولكنها فى هذه المرة خرجت من نطاق بيتى

الى أى مكان أتواجد فيه وخاصة فى أى بيت أزوره . . أقاربى أو زميلاتى . . كنت أشعر بالهدوء النسبى بعد أن تتم السرقة وكأننى حققت انتصارا أستحق عليه مكافأة . . وكانت سعادتى مضاعفة حين كنت أسرق من إحدى زميلاتى . . كنت أشعر بالنشوة وأنا أراها تبحث عن الشىء الذى فقدته . حتى وإن كان قلما رخيصا ثمنه بضعة قروش . . واقتربت من زميلة أخرى وتوطدت بيننا صداقة كانت تبشر بعلاقة ودودة مستقرة . . وتصورت أن مشاكلى انتهت . . ولكننى فوجئت برغبة السرقة تعاودنى وأنا فى منزلها رغم حبى لها وحبها لى . . وكأننى كنت أتوقع منها الغدر وأنها ستتيقنى فى يوم من الأيام مثلما فعلت بقية الزميلات . . لا افهم لماذا كنت أسرق رغم أننى أحتقر كل سارق . .

....

. . تقول السيدة التى ذهبت مع زوجها فى سياحة لاحدى الدول الأوربية ثم ضبطوها بسرقة بلوزة رخيصة السعر من احد المتاجر : ولدت لأب سكير وأم تلعنه فى كل وقت . . وفى المرات المعدودة التى قبلنى فيها كنت أشعر بالاشمئزاز لرائحة لم تكن تفارق فمه . ربما لأن معدته لم تخل فى أى وقت من الخمر . . ساءت حالته الصحية وتعطل عن العمل . . واضطرت أمى تعمل حتى تعولنا . . شقيقتى الوحيدة التى كانت تكبرنى سنا وتقل عنى جمالا لم تابه بما يحدث فى بيتنا . لأنها استطاعت ان تجد متنفسا فى لهوها وعبثها خارج البيت . . ولكننى لم استطع أن امشى فى طريقها كما لم استطع أن انفصل بوجدانى عن أبى وأمى . . ولكنى استجبت لأول طارق طلبنى للزواج وأنا بعد لم أنته من تعليمى الثانوى . . كان يكبرنى بعشرين عاما . . وأذعنت أمى نظرا لمكانته الاجتماعية المرموقة وموقفه المادى شديد التميز . . لم اشعر بأى عاطفة نحوه حتى هذه اللحظة . . ورغم انبهاره بجمالى فى بداية زواجنا إلا أنه أهملنى بعد أن انجبت طفلى

الأول . . وهجرني تماما بعد طفلى الثاني . . وكان يظن أن ماله ورحلاتي معه لأوربا تعوضني عن إفتقاده كرجل . . واصابتني كآبة عجزت معها عقاقير الأطباء النفسيين . . وكانت حالتي تسوء اكثر في الأيام القليلة التي تسبق موعد الدورة الشهرية . حيث يمتزج إكتئابي بقلق حاد يجعل حياتي عذابا . .

وبدون أن افهم وجدتني تحت تاثير رغبة قهرية تعاودني من وقت لآخر لأسرق أى شيء من أى إنسان ومن أى مكان . . كانت تلك هى اللحظات الوحيدة التي يهدأ فيها قلقى وتخف حدة إكتئابي . . ولكنه كان تحسنا مؤقتا لساعات كتاثير الخمر التي سرعان ما يختفي مفعولها المهدىء للقلق مع تطايرها من المخ . .

لم اكن اشعر باى تانيب لضميرى بعد كل مرة كان وجداني متبلدا . . سرقت حوالى عشرين او ثلاثين مرة ولكنني لا اتذكر ماذا سرقت ولا اين تلك الأشياء التي سرقتها . .

....

. . قالت السيدة التي حاولت أن تسرق زجاجة العطر من بيت صديقتها :

. . قد لا تصدق أنني لم أعرف عن تفاصيل العلاقة الجنسية بين الزوجين إلا في اليوم السابق على زفافى حين تطوعت إحدى خالاتي بتزويدى بهذه المعلومات . لانه كان من المستحيل ان تقوم امى بهذا الدور . لأنها ظلت على مدى عشرين عاما لا تتناول موضوع الجنس معى إلا بعينيها التي كانت تنقلان لى التحذير والترهيب من مجرد مناقشة هذا الموضوع في ذهنى أو مجرد تصوره في خيالى . . إنه الاثم بعينه . . لو تجرأ عقلى وطرح الموضوع بالفكرة أو بالصورة . . فما بالك بالتمنى والرغبات . . ولذا ماتت كل احاسيسى في الليلة الأولى وعلى مدى عشر سنين حتى الآن . .

نشأت في بيت أب من اغنياء جنوب مصر الذى سلمنى الى

إبن أخيه . فلم اشعر ان حياتى تغيرت كثيرا بإنتقالى من بيت الأب الى بيت الزوج . بالرغم من السنوات التى قضاها الزوج فى أوربا للحصول على أعلى درجة جامعية . . اخذته منى كتبه ومراجعه واخذنى منه تبلد مشاعرى . . لم انعم منه إلا بإسمه اللامع . كما لم انعم من والدى إلا بماله بعد وفاته . . وعشت فى فراغ لم يبدده قضاء معظم وقتى مع صديقاتى . . ورغم تفوقى عليهن مالا وجمالا ومكانة إلا اننى كنت أشعر أننى الأدنى فى أنوثتى التى وأدتها أمى وكثف زوجى فوقها التراب . . حتى زوجة البواب كنت اشعر بتفوقها على . . ولهذا كنت ابالغ فى مظهرى وأبالغ فى كبريائى الذى كان يفقدنى احيانا كثيرا من الناس . .

أحسست أن حياتى خاوية من المعنى والهدف فلازمنى الاكتئاب الذى أدى الى تكسير معنوياتى . . وبلا سبب مفهوم لى أصبحت تراودنى رغبة ملحة فى سرقة أى شيء من عند اى صديقة أزور بيتها . . تلك كانت اللحظات الوحيدة التى اشعر فيها بلاثارة . . إثارة تنتشر فى كل أجزاء جسدى فأشعر بنشوة لذيذة منعشة أعود بعدها الى بيتى لأنام نوما هادئا عميقا . . ولم أفكر فى أن امتنع عن ذلك السلوك المهين حتى لا أحرم نفسى من تلك الأحاسيس . . ففجاة أشعر بالتوتر يهز كل خلية فى جسدى . . وحين تمتد يدى لتسرق أشعر بالنشوة تتدفق رويدا رويدا حتى أصاب برعشة شديدة مرتقبة تنتهى فى ثوان اهدأ بعدها . .

....

القاسم المشترك بين الحالات الثلاث هو الحرمان . . الحرمان من التواصل الانسانى بأى من أشكاله الفكرية أو الوجدانية أو الجسدية . . ولهذا عانين من الاكتئاب . . وتجيء السرقة لتهز النفس أو الجسد وتزحزح الاكتئاب الجاسم للحظات كشهاب من نار يبدد ظلام كونى لثوان . ويحرق من يلامسه ثم يحرق نفسه . .

● ● ●

● هذه الثنائية . . « كابجراس »

يدعى أنه زوجى . .
وأمى تصدقه . . !

احضرونى إليك ليثبتوا انى مريضة . . ولكن عقلى سليم تماما . . وسوف تكتشف ذلك بنفسك . . اجبرونى على الحضور هنا . . اعتقادا منهم انى اهذى . . هكذا تعتقد امى بإيحاء من هذا الرجل الذى يدعى انه زوجى . . المصيبة ان امى تصدقه . . ولكنى اقسم لك انه ليس زوجى حقيقة انه يشبهه تماما . . صورة طبق الأصل . . تطابق كامل بينه وبين زوجى . . ولكنه ليس زوجى . . لقد انتحل دور زوجى وهو يؤدى دوره باتقان لدرجة انه اقنع الجميع . . ولكنه لم يستطع ان يخدعنى . . سافر زوجى الحقيقى فى عمل . . وفوجئت بهذا الرجل يعود ليقول لى انه زوجى . . يريد ان يمارس كل حقوقه معى . . ولكن هذا مستحيل . . مستحيل ان اعيش معه فى بيت واحد . . سأذهب إلى اى مكان فى انتظار عودة زوجى الحقيقى . .

بمجرد أن رأيته ادركت انه ليس هو . . استطاع ان يخدع عينى لثوان محدودة . . ولكن سرعان ما اكتشفته احاسيسى الحقيقية . .

ولعلك توافقنى يا طبيب أن الادراك الحقيقى الصادق يكون بالمشاعر وليس بالعينين . .

العين ترى فقط الصورة . . والصورة يمكن تقليدها . . يمكن تزويرها . . وهذا هو ما فعله هذا الرجل . . لقد غير فى شكله فاصبحت

صورته للعين مطابقة لصورة زوجي . . غير في صوته ايضا فاصبح يتكلم مثل زوجي . . يقلد حركاته وطريقة مشيه وطريقة كلامه . . لعله راقب زوجي طويلا او لعله احد اصدقائه ويعرفه حق المعرفة . . ولذلك كان من السهل عليه تقليده . . استطاع أن يخدع الجميع لأنهم استقبلوه بعيونهم . . اما انا فمشاعري اكتشفت الحقيقة . . وذلك لأنني احب زوجي . . وحين تحب . . فانت ترى بمشاعرك . . وهذا هو معنى الحب يا سيدى . . حالة وجدانية يتحقق فيها ذوبان مشاعرك بمشاعر من تحب . . تظل الأجساد كما هي . . متباعدة . . وقد تفصلها احيانا آلاف الأميال ولكنك تظل على اتصال بحبيبك . . تظل ملتصقا به كل الوقت . . تظل معه ويظل معك . . فإذا سألت نفسك كيف يتحقق هذا الالتصاق والأجساد متباعدة . . ؟ تجيء الاجابة هنا لتؤكد معنى الحب وهو ان امتزاجا حقيقيا يحدث وينتهي الأمر ، ليتكون كيان واحد من كيانين . . إنه حالة من التوحد تحدث بين رجل وامراة . . أي بين اثنين من البشر . . والتوحد بين مشاعرهما ولكن يظل كل منهما محتفظا بكيانه المادى الجسدى . . إذن الجسد لا يؤدى أى دور في عملية الحب . . فالجسد بالنسبة للانسان لا يخدم معنى الانسان . . حدود الانسان اكبر من حدود الجسد . . الانسان طاقات فكرية ووجدانية . . الانسان في حد ذاته معنى . . وتجيء حياته على الأرض لتاكد معنى . . والمعنى الخالد هو الحب . . ويجيء حب إنسان لانسان تاكيداً للمعنى . . معناه كإنسان . . ومعنى حياته في الدنيا . .

ورغبة الحبيبين في التلاقي باجسادهما إنما هى محاولة لربط جسدهما بمشاعرهما . . فالمشاعر متوحدة ممتزجة فلتكن الأجساد كذلك . . ويقول لسان حال كل حبيب في تلك اللحظات : فليفنى جسدى في جسدك .. تماما كما فنت روحى في روحك . . إنها حالة من القلق لتحقيق الامتزاج الكامل جسدا مثلما تحقق روحا . .

وكان كلا منهما يابى على جسده . . أن يكون منفصلا مبتعدا عن

جسد حبيبه . . ولذلك فإن رغبة اللقاء هنا لا تكون رغبة جنسية ولكنها رغبة لتحقيق سعادة للوجدان . .

....

● ● قبل سفر زوجي كنت الح عليه أن يبقى بجوارى كل الوقت . . أن يتلاقى جسدانا كل يوم . . كنت اتمنى أن يتحقق الذوبان لجسدى كما تحقق لوجدانى . . وكنت أريد أن أشعر برغبة جسده فى الذوبان ليؤكد لى ذوبان وجدانه . . وحين سافر حبيبى فإنه سافر بجسده . . أما وجدانه فمعى . . فى داخلى . . ولهذا لم يستطع هذا الرجل الغريب أن يخدعنى بهيئته . . اكتشفت مشاعرى تزويره . . ولهذا تاكد لعينى أنه رجل مختلف يؤدى دور زوجي مستغلا التطابق فى الشبه . . تماما كالممثل الذى يطلقون عليه « الدوبلير » الذى إذا غاب الممثل الحقيقى يقوم هو بتأدية دوره . .

سيؤكد لك هو أنه زوجي الحقيقى . . أمى ستقنعك بذلك . . سيطلبون منك أن تعالجنى . . ولكن أنا لست مريضة . . أنا واعية ومدركة تماما لكل شىء من حولى . . أذهب إلى عملى كل يوم واتحمل مسؤلياتى كاملة . . لم يشك منى أحد . . تصرفاتى كلها سليمة ومتزنة . . اسأل كل الناس عنى . . اطلب مساعدتك فى أن تخلصنى من هذا الرجل . . هل يرضيك أن اعاشر رجلا غير زوجي ؟ !

لقد عاملته اسوأ معاملة . . فى كل دقيقة أؤكد له أننى اكرهه . . أننى احتقره . . أننى أرفضه . . حاولت طرده من بيتى ولكنه تشبث بالبقاء لأن الكل يعتبرونه الزوج الحقيقى . حتى البواب يعامله على أنه صاحب البيت . .

حاولت أن أهرب أنا ولكن أمى منعتنى . . إذا لم يبتعد عنى سأشكوه للبوليس ليكتشفوا تزويره . . وإذا لم يصدقنى أحد . . إذا لم ينقذنى أحد منه فليس أمامى سبيل إلا أن أقتل نفسى . .



● ● لا شك ان هذه السيدة تعانى . . تعانى لأن رجلا غريبا يأخذ مكان زوجها . . قمت بالكشف على قواها العقلية . . فوجدت أنها سليمة فيما عدا شيئا واحدا . . وهو انها تعانى اضطرابا واضحا فى محتوى تفكيرها . . فكرة خاطئة تسيطر عليها وتؤمن بها إيمانا راسخا غير قابل

للتعديل وهو أن زوجها قد استبدل برجل آخر . .

قابلت الأم . . لجزعها وألمها من أجل ابنتها لم أستطع الحصول على أى معلومات منها إلا أن ابنتها أصيبت بحالة اكتئاب منذ خمسة عشر عاما بعد وفاة أبيها . . فامتنعت عن الطعام والكلام وهزلت . . وفى هذه الفترة اتهمتها انها ليست أمها . . وأنها سيدة غريبة تريد أن تحتل مكان أمها . . ولكن الحالة لم تستمر طويلا بعد علاج قصير وعادت إلى حالتها الطبيعية . .

....

قابلت الزوج . . فى الخامسة والأربعين من عمره . . يكبرها بخمس سنوات . . قلق على زوجته كان مصحوبا ببعض مشاعر الذنب ، فلقد أساء معاملتها فى العام السابق على مرضها . .

كان دائم الانشغال عنها بعمله الذى كان يقتضى سفره لفترات طويلة . . وصفها بأنها كانت حساسة وغيورة سريعة الانفعال ، تصيبها حالة من الكآبة البسيطة لمدة اسبوع كل شهر قبل الدورة الشهرية . .

فى العام الأخير كثرت خلافاتهما واعترف بانه سئم الحياة معها لعصبيتها الشديدة وغيرتها المزعجة التى وصلت فى الفترة الأخيرة إلى حد اعتقادها بانه متزوج من سيدة أخرى . . وفى الشهر السابق على مرضها كانت تصر على ان يبقى معها لأنها تشعر بالخوف . . وكانت تطلب منه – على غير عادتها – أن يلتقى بها فى الفراش . . وازعجته جرأتها وكان فى معظم الأحوال لا يلبى رغبتها . . وسافر لعمل وعاد بعد عشرة أيام ليجدها تصرخ فى وجهه بانه ليس زوجها الحقيقى . . بل هو شخص آخر يأخذ مكان زوجها . .

● ● مرض أم عرض . . ؟ أى هل هذه الحالة مرض مستقبل بذاته دون وجود أعراض أخرى أم هى أحد المظاهر لمرض آخر . . ؟

من النادر أن تكون حالة مستقلة . . وفى الغالب نراها ضمن أعراض أخرى فى مرض الاكتئاب ومرض الفصام . . أكثر فى النساء . . ولكنها قد تصيب الرجال أيضا . . تسمى حالة « كابجراس » أو « هذاء الثنائية » . .

● ● مريض الاكتئاب يعتقد أن أطفاله قد استبدلوا وأن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون معه الآن ليسوا أطفاله الحقيقيين . .

● ● الشاب المصاب بالفصام يؤكد أنه لا يعيش حاليا مع والديه الحقيقيين . . وإنما هذان الشخصان يحتلان مكان والديه . . ولهذا فهو يرفض التعامل معهما . .

● ● والسيدة المتقدمة فى العمر والتى أصابها الفصام أخيرا . . تؤكد أن الرجل الذى يعيش معها الآن ليس زوجها وإنما هو رجل غريب يأخذ مكان زوجها . .

يظهر هذا العرض مع بداية المرض أو أثناء تطوره . . والشخص المتهم يكون أحد الأقرباء كالزوج أو الوالدين أو الأبناء أو الأشقاء . . الشخص المتهم هو صورة طبق الأصل من الشخص الحقيقى ، ولكنه ليس هو . . يقر المريض هذه الحقيقة وهو فى كامل وعيه وانتباهه . . أى لا يوجد أى اضطراب فى حواسه ولا يوجد أى تشوش فى الوعى . . والادراك هنا سليم تماما . . ولكن المريض يعانى من اضطراب فى وجدانه أسقطه على تفكيره فتكون لديه الاعتقاد الخاطىء بأن شخصا قد حل محل شخص آخر وأنه بالرغم من تطابقهما الشكلى إلا أن عواطفه تدرك الحقيقة . .

إذن هناك انفصال عن الواقع . . هناك خلل أصاب هذا الواقع . . إدراك المريض لهذا الواقع اختلف عن إدراك المحيطين به . .

ماذا تقول هذه السيدة لزوجها الذى تعتقد أنه ليس زوجها . .

تقول : انت لست انت . . هناك رجل في داخلي . . ورجل خارجي . . زوج حقيقي . . وزوج ليس حقيقيا . . هناك إثنان . . متشابهان . . احدهما اعترف به والآخر لا اعترف به . . رجل احبه ورجل اكرهه . . رجل اريده ورجل لا اريده . .

انت . . انت اكرهك . . انت إنسان سيئ . . لا أريد الحياة معك . . اخرج من حياتي . . إذا أردت ان تعيش معي فلن تجدني . . سأنتحر ولن يبقى لك شيء . . انا أريد الرجل الآخر الذي أحبه . . الذي احببته طوال عمري . . الرجل الطيب . . الرجل الذي يحبني . . الرجل الذي يرغبني . .

● إذن هي الثنائية الوجدانية . . الحب والكراهية معا . . ولكنهما لا يمكن ان يجتمعا . . لأنه لا يمكن ان تحب وتكره في نفس الوقت . . ولهذا لابد من اثنين . . اي لابد ان ينقسم الواحد إلى اثنين . . احدهما تحبه والآخر تكرهه . . احدهما تحتفظ له بمشاعر الحب الموجودة منذ زمن بعيد . . والآخر تسقط عليه مشاعر الكراهية التي تكونت حديثا .

ولهذا قبل بداية الحالة كانت تريده . . كانت تلح عليه . . كانت تريد منه ان يؤكد حبه لها . . ان يؤكد رغبته فيها . . كانت تشعر انه ينفصل عنها . . اساء معاملتها . . هجرها . . لم يستمع لندائها . . اهمل احاسيسها . . استهان بعواطفها . . مرحلة ما قبل ظهور الحالة . . كانت تشعر بالتهديد . . بأن حبه على وشك ان يموت . . داس على كل مشاعرها . . فكرهته . . ولكنها لا تستطيع ان تكرهه لأنها تحبه . . ولهذا تكون عندها هذه الحالة الوجدانية المتناقضة . . الثنائية الوجدانية . . الحب والكراهية معا . .

لم يكن امامها مفر إلا ان تنفصل عن الواقع . . أن تحتفظ لنفسها بصورة حبيبها الذي تحبه ويحبها . . هذه الصورة تعطيها الطمانينة . . لا يمكن ان يهجرني . . اسمع منه كلمات الحب . .

ارى فى عينيه الرغبة وانا مخلصة له وهو مخلص لى . .

ولكن هناك شخص آخر لا يحبنى ولهذا انا لا احبه . شخص اكرهه . . شخص يشبه حبيبى . .

هذا الشبيه يتيح لها أن تسقط عليه مشاعر الكراهية التى تشعر بها . .

ولهذا فإن كيان هذه السيدة قد تفكك . . وبذلك فقدت اتصالها بالواقع وسقطت فى دائرة المرض العقلى . .

● **الحل لمشكلة التناقض الوجدانى أو الثنائية الوجدانية** هو تصور وجود هذا الشخص الثانى لكى تسقط عليه مشاعر العدوان والكراهية دون أن تشعر بالذنب إذا وجهت هذه المشاعر لحبيبها . . فبينما احتفظت لحبيبها بالمشاعر الطيبة اسقطت المشاعر السيئة على شبيهه . . حدث ذلك بعد أن فشلت فى الحصول على الطمأنينة والتأكيد من حبيبها . .

● **الثنائية الوجدانية** تخلق الشك وعدم التاكد ، وبذلك يزيد تدريجيا التوتر الداخلى فى شخصية تعانى اساسا من الحساسية الزائدة والغيرة . . وبذلك يعانى الوجدان أشد المعاناة . . الوجدان الذى أحب . ومن منطلق الحفاظ على هذا الحب تم تصور وجود شخص ثان . .

● والحقيقة كما حاولت هذه السيدة أن تعبر عنها هى اننا ندرك بمشاعرنا . . أو بمعنى أدق فإن إدراكنا الحسى يتشكل بمشاعرنا أو أن عملية الادراك الحسى (من خلال الحواس) . . تكتسب معناها من خلال مشاعرنا وعواطفنا . . هكذا يتم إدراك الانسان لذاته وإدراكه للناس من حوله وايضا إدراكه للأشياء . .

● أجهزة الاحساس ما هى إلا قنوات توصيل . . وما نراه أو نسمعه أو حتى ما نلمسه يكتسب معنى . . والمعنى يتم من خلال الوجدان . . إذن الادراك الحقيقى يتم من طريق الوجدان . .

● هكذا نستقبل عللنا . . أو هكذا نشعر به فنستقبله . . أو هكذا هو داخلنا فنراه خارجنا . .

إذا حدث الانفصال بين الاحساس والمشاعر نتيجة لاضطراب الوجدان ، فإن الانسان لا يقول أن وجدانه مضطرب ولكنه يقول ان الأشياء قد تغيرت او اختلفت . .

فإذا انفصلت مشاعره عن إحساسه بذاته أصابه اختلال الانية . .

وإذا انفصلت مشاعره عن إحساسه بالعالم الخارجي راى ان هذا العالم قد اختلف وتغير اى اختلال الواقع . .

● أما إذا أصيب وجدانه بالتناقض فإن الانقسام يحدث . . حالة وجدانية بالحب . . وحالة وجدانية بالكراهية . . وهذا ما لا يقوى عليه الانسان . . إذن لابد من عملية إسقاط . . إسقاط الكراهية على شخص . وإسقاط الحب على شخص آخر . . هذه الثنائية المتعلقة بشخص واحد تحل مشكلة الثنائية الوجدانية . .

● وسوا اكانت هذه الحالة تظهر مستقلة أو إذا ظهرت كعرض في مرض الفصام أو مرض الاكتئاب . فانها حالة وجدانية تؤدى إلى اضطراب التفكير فينفصل الانسان عن الواقع . . اى انها اضطراب أولى في الوجدان . . الوجدان الذى يتمسك بحبه وحبيبه . . الوجدان الذى يلح في طلب التاكيدات من الحبيب . . فإذا انكره الحبيب لا يستطيع أن ينكره . . لا يستطيع أن يطلق عليه الرصاص . . لا يستطيع ان يعترف بموته تماما كحالة كل إنسان حين ينكر الموت . حين يموت لنا إنسان عزيز تمر بنا حالة إنكار لموته . . لا نصدق انه مات . . بل يلازمنا شعور بأنه لا يزال على قيد الحياة وأنه في سفر ، وسنفاجا به يطرق الباب ويعود ليشاركنا حياتنا . .

ما أفظع الموت حينما يختطف حبيبا . .

ما افظع الموت حينما يختطف حبا . .

● ● ● ●

● شبه « العتة الهستيرى »

أجـــازة مـــن . .
الـواقـع المـؤلم !

● اللقـــاء الأول :

مظاهرة . . الضحية واربعة يحيطون بها . . ملامحهم متشابهة تنبىء برابطة دم من الدرجة الأولى يؤكدها جزعهم الواضح والمبالغ فيه ربما لاحساسهم بذنب غير مقصود أدى الى وجودهم جميعا حولها . . الأم تحتضنها ، والأب ممسك بيدها والأخت تساند ظهرها ، والأخ لم يجد له مكانا للمشاركة فآثر الابتعاد . .

هى إنفصلت عنهم بوعيها رغم ملاحقتهم لها . . شبه غائبة . . وعيها لم تفقده بالكامل . . فبدت مذهولة الوجه . . مصلوبة الجسد . . باردة النظرات . .

اجلسوها فجلست . . توجهت ثمانى عيون نحوى وانطلقت اربعة السنة فى وقت واحد . . لم افهم شيئا . .

اشار الأب عليهم بالسكوت وبدأ يتكلم . . بعد كلمة واحدة أوجزء من كلمة إنطلق لسان الأم . . لم افهم شيئا . . رفعت يدى إشارة لهم جميعا بالسكوت . . استدرت الى المريضة . . تكلمى انت . . مالك . . إيه إللى بيتعبك ؟ . .

● خرج منها صوت طفلة فى الخامسة رغم ان عمرها قد تجاوز الثلاثين تقريبا . . بعض حروف كلماتها غير واضحة اومستبدلة بحروف اخرى . . « الـراء » تنطق « لام » « والشين » تنطق « سين » . . تماما كطفل لا يجيد الكلام . .

● لم تستطع الأم الإلتزام بالصمت . . وضاعت كلماتها بفعل حشرجة بكائها . . فانهار الأب وعبر عن اسفه وتحسره بضرب أحد كفيه بالآخر وكأنه ينفض يديه من شىء علق بهما . .

● نظرت المريضة إليهما واكتسى وجهها الذاهل بإبتسامة بلهاء وكأنها مستخلفة عقليا لا تدرك حزن والديها من اجلها . .

● ظهر الغضب على وجه شقيقها . . إستثارته ابتسامتها إزاء إنهيار والديه : دى بتمثل يادكتور . . بتدعى إنها مجنونة انا عارف هى بتعمل كده ليه . . . غضبه ساعد على تماسكه . . فطلبت منه أن يحكى لكى افهم . . وكانت القصة كالآتى :

المريضة ارملة فى الثالثة والثلاثين من عمرها . . مات زوجها فى حادث منذ ثلاث سنوات تاركا ثلاثة أطفال اكبرهم الآن فى التاسعة وأصغرهم فى الرابعة ومعاش ضخم وشقة تمليك . .

● أبت أن تغادر شقتها الى منزل الأسرة ، فاقامت فيهامع أطفالها . .



وتبادل أفراد اسرتها الاقامة معها . .

● إنصرفت الى تربية أطفالها بعد أن اقسمت فى يوم وفاة زوجها الاتتزوج مدى الحياة ، واعطت وعدا بذلك لأسرة زوجها . . كانت صادقة الوعد لهم ، ولكن ذلك لم يمنعهم أن يلحوا بأخذ الأطفال والشقة قبلهم فى حالة حنثها . . اما أسرتها فكانت أكثر تأكيدا وحرصا على عدم زواجها حرصا على الأطفال . .

● انصرف كل إلى حاله بعد أن أطمئنوا الى وعدها . . ووحدها واجهت كل الأعباء . . واكتفى الجيمع من حين لآخر بتوجيه كلمات

الاعجاب والتقدير لتحملها مسئوليتها دون مشاركة فعلية من احد . . مسئولة عن إطعامهم وتربيتهم وتعليمهم وصحتهم . . ومسئولة ايضا عن كبت مشاعرها بالوحدة . .

ومن وقت لآخر كانت تسمع توجيهات مهذبة من الأسرتين ، بأن عليها أن تكون حذرة في كل تصرفاتها وتحركاتها حتى لا تتعرض للقيل والقال . . وكان ذلك اكثر من قدرتها على الاحتمال . .

● قضت ثلاث سنوات وكانها ثلاثين عاما . . شعرت بذبول الجسد وذبول الروح بين الجدران الصماء الباردة . . فقررت أن تعمل دون ان تكون في إحتياج لمال . . عارضها الجميع بقسوة . . فاستسلمت . . ولكن بدات تتدهور صحيا . . لازمها الصداع . . والأم المعدة . . وتنميل الاطراف . . وإضطراب الدورة . . واقسى المتاعب كان الأرق .

فسمحوا لها بالعمل بشرط الانضباط الشديد في المواعيد . . وقرر ابوها ان ينتقل للاقامة معها بصفة دائمة بعد إحالته للمعاش ، والهدف الخفي كان ملاحظة تحركاتها ومواعيدها . . افزعهم خروجها للعمل . . إشتموا من ذلك رائحة تمرد .

● تحسنت حالتها الصحية ، وظلت على إلتزامها وضاعفت من إهتمامها بأطفالها تعويضا عن الساعات التي إقتنصها العمل . . شيء واحد لم يفارقها . . الأرق والاحساس بالبرودة والتي ترددت بسببها على العديد من الاطباء دون فائدة . . وفجاة أعلنت الجميع بقرار كان صاعقة عليهم : زميل لي يريد ان يرتبط بي ولقد وافقت . .

أسرة الزوج كانت اكثر لباقة . وكأنها كانت تتوقع . . فبدات بحوار هادىء حول ضم الأطفال واخذ الشقة . . اما أسرتها فانفجرت كبركان . . انطلق من البركان كلمات صفعتها بعنف يتساوى مع عنف صفعة أبيها لأول مرة : كارثة ـ فضيحة ـ مصيبة ـ الأولاد ـ الشقة ـ ستطلقين بعد حين بعد ضياع الأولاد والشقة . . ثم يهدأون بعض الوقت لتنطلق حمم ملتهبة من نظراتهم الصامتة . . كلها تحمل تساؤلا

واحدا : لماذا الزواج . . ! ! وكجندى تخلف عن الانسحاب فحاصرته طائرات العدو فقرر بدون وعى أن يغيب عن الوعى إستعدادا لموت لايريد أن يشعر به . . غابت هى عن وعيها ثلاثة ايام متوالية . . أفاقت وهى على هذه الحالة ؛ تخطىء فى أسمائنا . . تدعى أن لها أربعة اطفال تقر إن عمرها عشرين وأحيانا خمسين . . الأسبوع ثمانية ايام . . وبكل يد ستة أصابع . . هى تدعى أم فقدت عقلها . . ؟ لا ندرى ! ! تبدو وكأنها منومة . . تتحدث كالاطفال واحيانا تحبو مثلهم . . وللأسف فإنها أحيانا ايضا تتبول كرضيع . . أرجو فحصها لنعرف حقيقة أمرها . .

● **اللقــاء الثانى :**

● لا أصدق ياطبيب اننى كنت فى هذه الحالة ! !

— لقد كنت مشوشة الوعى ، ولهذا صدرت عنك هذه التصرفات الغريبة . .

● إننى لا أتذكر شيئا عن هذه التصرفات .

— وهذا يؤكد الخلل الذى أصاب وعيك . .

● وكيف عدت بى الى حالتى الطبيعية . . ؟

— كنت محتاجة الى أن تتكلمى . . أن تعبرى عن نفسك . . أن تخرجى مشاعرك على لسانك لتسمعها أذنك وأسمعها منك . . هذا وحده كاف لان يهدأ الانسان ويعود اليه وعيه الكامل . .

● ومـا تشخيص حـالتى . . ؟ لمـاذا أصبت بهـذه الحالة . .؟ إننى اشعر وكأننى كنت فى سفر بعيد . . فى أرض غريبة . . أشعر كأننى كنت فى حلم طويل وأفقت منه . .

ولا أتذكر شيئا من أحداثه . . أشعر كانك سحبتنى من بئر مظلم سحيق . . ذاكرتى مفقودة عن تلك الأحداث التى مرت بى . حين أحاول استرجاعها لا تسعفنى ذاكراتى إلا بأشباح غير محددة الملامح واصوات تبدو مبهمة تجىء من بعيد كالصدى . أرجوك أن تعود بى الى تلك المرحلة لأتعرف عليها . .

....

● **اللقــاء الثالث :**

أول من وصف حالتك طبيب نفسى اسمه جانسر فى عام ١٨٩٨ . . وسميت الحالة بإسمه . . أى انك كنت تعانين من « حالة « جانسر » .

واحتار العلماء فى طبيعة هذه الحالة . . هل هى حالة نفسية أم عقلية ؟ . . هل هى هستريا أم إكتئاب أم فصام ؟ . . بل وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بانها إدعاء ! . . أى محاولة تمثيل المرض العقلى . . ولانها اكثر انتشارا بين من يقضون حكما بالسجن أو من ينتظرون حكما بالاعدام فقد اطلق عليها « ذهان السجن » . . فالسجن معناه ألامفر . . والاعدام معناه النهاية . . وذلك امر قد لا يحتمله العقل الواعى . . ولهذا يحدث إنفصال . . إنفصال العقل عن الواقع . والنكوص الى مرحلة الطفولة حيث لامسئوليات ولا صراعات . . حيث لا مستحيل وان كل شىء ممكن . . حيث النجاة مؤكدة . . وهى حالةتشبه المرض العقلى . . فالمريض العقلى منفصل عن الواقع . . وابرز أعراض تلك الحالة هى الاجابات التقريبية . . لقد أعطيتك بعض المسائل الحسابية فكانت اجاباتك على النحو التالى : ٢ + ٤ = ٧ ، ٣ + ٤ = ٨ ، ٥ + ٥ = ١٠ ، ٦ - ٣ = ٣ ، ٥ - ٢ = ٢ ، . . .

سألتك عن عدد ايام الاسبوع فكانت اجابتك انها ثمانية ايام . . سألتك عن عدد أصابع يدك اليمنى فكانت إجابتك انها أربعة . .

وهكذا . . هذا يعنى انك فهمت المقصود من السؤال ولكنك اجبت إجابة خاطئة تماما كما يحدث مع الطفل . .

— سألتك عن الوقت فقلت اننا فى منتصف الليل رغم اننا كنا فى منتصف النهار . .

● مثل هذه الاجابات عن هذه الاسئلة البسيطة حين تصدر من انسان متعلم تبدو وكأنه يسخر أو أنه يحاول أن يدعى أنه مصاب باضطراب فى عقله . . ولذلك كان الشك فيمن يصابون بهذه الحالة : هل هم مرضى حقيقيون أم أنهم يدعون المرض لكى يحققوا مكسبا من هذا الادعاء . .

والذى يزيد من الشك ان هذا المريض قد يجيب على سؤال بأنه لا يعرف . .

● أرجوك ان تصدقنى أننى لم أكن أدعى أى شىء . . فأنا لا أتذكر شيئا عن هذه الفترة . . واذا كانت تلك الاجابات الساذجة الخاطئة قد صدرت منى فعلا فإننى لا استطيع أن أقدم لك تفسيرا لماذا كنت أجيب بهذه الطريقة . .

— انا لا اقصد أن الطب يشك فيك . . ولكن الشك يأتى من المحيطين بالمريض . . فانا اصدقك تماما . . فهذه الحالة ليست إدعاء كاذبا كما لاتتم على مستوى العقل الواعى . . الحالة مصدرها العقل الباطن أو اللاشعور . .

— الذى يؤكد ذلك العرض الثانى للحالة ، وهو تشوش الوعى . . فالمريض يبدو كالمذهول أو المأخوذ . . لا يستطيع أن يركزنظره على شىء محدد متجمد الوجه أو قد يظهر قلق مبهم على ملامحه . . غير مدرك للزمان أو المكان ويجد صعوبة فى الانتباه الى أى شىء حوله مع إضطراب واضح فى ذاكرته للاحداث البعيدة والأحداث الغريبة . . وقد تضطرب حركته فلا يستطيع المشى وقد بتخشب مكانه كما يفقد

الاحساس فلا يشعر بوخز الابرة او بلسع النار . .

● لا أستطيع أن اتصور أننى كنت أمر بهذه الحالة . . اريد ان اعرف الآن لماذا أصبت بها . . ولماذا تصيب أى انسان . .

● كما ان لنا طاقة جسدية تستطيع ان تتحمل الى حد معين . بعدها تخور قوانا ونقع . . فإن لنا طاقة نفسية لا تستطيع أن تتحمل إلا إلى قدر معين . .

والجسد معاناته واضحة ، أى ظاهرة للعين المجردة . . عين الطبيب وغير الطبيب . . وكلنا تعودنا ان نعبر عن الام جسدنا . . أن نقول « اه » فيسمعنا الآخرون ويشعرون بنا ، ويتعـاطفون معنـا ويهبون لمسـاعدتنـا . . فـلا عيب ولا حرج . .

ونتهم انسانا بالظلم وغلظة القلب إذا ضغط على إنسان اخر وأرهقه جسديا أو اذا لم يستمع إلى انين جسده . .

كل هذه الحقوق التى منحناها للجسد أنكرناها على النفس . . أولا لانها شىء غير مرئى . . أى اننا لاندركها بأعيننا . . وانما نحتاج لان ندركها بمشاعرنا . . اذا اردنا ان نسمع الى انين النفس البشرية فإننانلجأ الى آذاننا الداخلية . . آذان معلقة فى الوجدان . . وذلك يتطلب أن تكون لنا القدرة على ان نضع انفسنا فى مكان هذا الانسان حتى نتخيل كيف يشعر ، ثم نشعر كما يشعر . . أى ان تتألم كما يتألم هو . . وذلك مالا يستطيعه أى انسان . . ولأن كل انسان له شخصية خاصة به . . له مشاعر وأفكار مختلفة . .

له ظروف واحتياجات مختلفة فإننا لا نستطيع ان نتصور قدر احتماله . . قدر معاناته . . حجم الأنين الصادر عن نفسه . .

ولهذا فالانسان غير مدرب وغير مؤهل لان يستمع الى انين نفس انسان آخر . .

ولاننا احيانا تكون مسئولية عن معاناة هذا الانسان ، فإننا نرفض ان نشعر به . . نرفض ان نتحمل مسئولية الاحساس بآلامه . . ولاننا احيانا نكون انانيين ولا نبحث الا على مصلحتنا وما يرضينا -وذلك قد يكون على حساب انسان آخر فإننا لذلك نرفض آلام هذا الانسان وقد نتمادى في الضغط النفسى عليه . . فتزداد آلامه الى حد لا يتحمله وهنا لا يكون امامه إلا احد ثلاثة سبل : أما أن يتخلص من حياته ، وإما ان يصاب بالجنون فيستريح لانفصاله الاجبارى عن واقعه المؤلم . . وإما أن ينفصل بجزء من وعيه فيظل مرتبطا بواقعنا بخيوط غير مرئية ولكنه يبدو وكأنه منفصل تماما . . العقل الباطن هو الذى يقوم بعملية الانفصال هذه . . إنه دفاع عن النفس وحماية لها من الجنون أو الانتحار . . إنها اجازة من الواقع المؤلم . . راحة إجبارية يفرضها العقل الباطن . . فالأمر لم يعد محتملا . . وحل المشكلة مستحيل . . والفرار منها غير ممكن . . إذن لا حل . . « ولا حل » هذه معناها اليأس . . والأسى . . والألم . . معناها ان الحياة نفسها لم تعد تحتمل . . والناس لا ترحم . . لا احد يريد ان يشعر بفداحة مشكلتى وصعوبة موقفى . . لا أحد يريد أن يقترب منى . . لا احد يريد ان يتفهم ظروفى . . لا احد يريد ان يرفع عن كاهلى بعض الضغوط . . بل هم يضغطون أكثر وأكثر . .

لا حب ولا تعاطف . . لا تقدير ولا مشاركة . . على ان اتحمل كل شىء وحدى ولا اشكو . . ولكنى لا أستطيع تحمل المزيد . . فالموقف

لا يحتمل ولا أحد يدرك او يريد ان يشعر بذلك . . فلأهرب . . فليذهب وعيى . وبذلك لا ارى المشكلة ولا اعيشها . . فلأكون انسانا آخر . . انسان ليس له علاقة بهذه المشكلة . . وليس له علاقة بهؤلاء الناس الذين لا يشعرون ولا يقدرون . . لعلهم ينتهون . . فاذا مدوا يد المساعدة فلاعود إليهم مرة ثانية فانا لم انفصل بكل وعيى بل ببعض وعيى . . انا مازلت مبقيةعلى بعض الروابط . . إذا سالونى سؤالا سأجيب الاجابة الخطا . . فهمى للسؤال يعنى اننى اعيش واقعهم . . إجابتى الخطا تعنى اننى منفصلة عنهم . . سيظل وعيى غائبا حتى تمتد يد الى . . حتى يسمع احد صرخاتى . . انها كصرخات الغريق الذى لابد ان تمتد اليه يد وإلا غرق . . وانا لا اريد ان اغرق . . انا اريد ان أعيش . . ولكن ساعدونى . . وبداية المساعدة تكون بان تتفهموا ظروفى . . تتفهموا احتياجاتى . . تتفهموا قدراتى . . وهذا معناه الحب . . وبذلك استطيع ان أواجه مشكلتى . . استطيع ان احلها . . أستطيع ان اتخذ قرارا دون خوف ودون صراعات تتجاذبنى وتمزقنى . .

لا تطلبون منى ان اثبت شجاعتى بأن اقفز من الدور العشرين . . لا تطلبوا منى أن أثبت قدراتى على الصبر بأن وعيى احتمل النار على جسدى . . لا تطلبوا منى أن أؤكد سمو روحى بأن امتنع عن الطعام والشراب حتى الموت . .

لا تطلبوا ممن حكم بشنقه أن يبدى سعادة وفرحا خالصا . . لا تطلبوا ممن يغرق ان يظهر كبرياءه ولا يصرخ مستنقذا . .

....

● ● وهل من الممكن ان يصاب اى انسان بهذه الحالة

— هذا يتوقف على عاملين : أولهما شخصية الانسان اى قدرته على

التحمل والمواجهة . . وثانيهما حجم ونوعية الضغوط التى يتعرض لها هذا الانسان . . وهذه الحالة بالذات هى نموذج لمجموعة من الحالات الآخرى التى قد يتعرض لها الانسان اذا واجهته ضغوط أو مشاكل لا يقوى على مواجهتها أوحلها أو تحملها . .

وقد يعبر الانسان عن معاناته النفسية بأن يصاب بالصداع أو القيء أو بالآلام فى كل جسده أو بأن يفقد الاحساس أو بأن يفقد وعيه . . أو بأن يقرر ـ لا شعوريا ـ بأن يغادر المكان والناس ، ويهرب بعيدا تاركا أيضا ذاكرته . . المحور الأساسى فى كل هذه الحالات هو الهروب . . وذلك كما قلت يتوقف على نوعية الشخص الغير قادرة على التحمل أو المواجهة . .

ولكن هناك ضغوطا تفوق احتمال أى انسان . . ضغوطا يكون مصدرها غالبا إنسانا آخر . . انسانا قد يكون من اقرب الناس . . انسانا طاغية غلظ قلبه لا يهتز له وجدان وهو يضغط على عنق انسان آخر . . انسان استبد به الغرور وغرته قوته فتكبر . . انسان إنانى يسعى لتحقيق رغباته على حسابك وتجد نفسك مضطرا للحياة مع هذا الانسان أو للتعامل المستمر معه . . فإن حياتك تكتسب طعما مرا لا تستطيع ان تتخلص منه ويلازمك فى كل وقت . . يضيق صدرك حين تراه امامك . . وتكره نفسك حين تضطر للحياة أو التعامل معه . . وتحاول ان تتماسك وان تبتلع المرارة بل وتقهر نفسك على أن تعتاد هذا المذاق . .

ولكن مع مرور الوقت ومع إزدياد الضغط تفقد قدرتك على الاحتمال وخاصة حين لا تستطيع مواجهته أو معاملته بالمثل كما لا تستطيع الهرب منه . .

● هنا تبدا الاعراض فى الظهور . . تبدأ بالاعراض الجسدية ، الصداع والقيء والآلام والاحتياج للمهدئات من أجل النوم . . وفى الأزمات الحادة يحدث الانفصال عن الواقع فى (صورة جانسر) أو شرود أو حالة من النسيان أو غيبوبة . .

● مشكلة الانسان احيانا تكمن فى انه يعجز عن إتخاذ القرار . . إما لان القرار ليس بيده . . أو لان ظروفا معقدة تمنعه من إتخاذ القرار أو لأن بداخله خوفا وضعفا يعجزه عن إتخاذ القرارات الهامة والمصيرية فى حياته . . قرارات مثل الطلاق والزواج والهجرة وتغيير العمل . . الخ . . وبالرغم من أن إتخاذ القرار يحل مشكلة إلا أنه يتردد فى إتخاذه . . يظل فى حالة تردد دائمة . . يظل فى حالة تأرجح دائم . . يأخذ القرار مع نفسه ثم يعود عن قراره . . وذلك هو الصراع الذى يزيد من قلقه ويضعف من مقاومته ويجعله عرضة للنكسات النفسية فى أى من الصور التى سبق وصفها . . والنصحية هنا لا تجدى ، فهو يعرف القرار السليم ولكن المشلكة تكمن فى عجزه عن إتخاذ هذا القرار . .

ولا نستطيع أن نزيد معاناته بأن نوجه له اللوم على ضعفه . . فربما لو كنا فى نفس موقفه وظروفه لعجزنا مثله عن إتخاذ القرار الذى نراه سليما . . فالله وحده أعلم بخبايا نفس كل انسان والتى قد يجهلها هو ذاته وذلك هو الأرجح . .

● ● ● ● ●

● هــوس الحــب . .

تمتــلىء نفســك
رهبة وإعجابا بالنظر إليه . . ! !

● المريضة سيدة تبلغ من العمر ٣٥ عاما . . جامعية . . تعمل بالتدريس . . زوجة وأم لطفلين تواضع جمالها تعوضه جاذبية تنبع من داخلها أكثر مما تلحظها فى ملامحها . . عيناها تلمعان ببريق يتناسب قدرة مع المعانى التى تخرج على لسانها . . صوتها عادى ولكنه قادر على توضيح أحاسيسها . . أنيقة فى مظهرها بقدر أناقة كلماتها التى تكشف عن ذكاء مطعم بثقافة ووعى . .

أعترف أننى لم أكتشف أنها مريضة الا بعد نصف ساعة من حديثها المتصل الذى لم أشأ أن أقاطعة لعمق المعانى التى كانت تعبر عنها ورقتها ، وللدفء الذى كان يشع من كلماتها المتزنة المتناسقة . .

● فى نصف الساعة الأولى كانت تعبر عن عواطفها نحو إنسان يحبها وتحبه . . قصة حب يسعد أى إنسان بسماعها لانها تؤكد انه لا حدود ولا منتهى لجحم ونوع العواطف التى يكنها إنسان لانسان آخر . . قصة تسعد بسماعها حتى وإن لم تكن طرفا فيها ، لأنك تتوحد مع المحبوب ، فتشعر انك وضعت فى مصاف الآلهة . . فمحبوبك يراك أجمل وأروع ما فى الوجود . . يكفيه أن يكون بقربك ليحتويه ضياؤك كما يحتوى ضوء القمر الأرض وما عليها . . فاذا ابتعدت عنه اظلمت دنياه فصار شبحا ، وأظلم داخله فصار كالموتى . .

● قالت السيدة وهى تحكى عن حبها وعن حبيبها :

هو عظيم كهرم لا يمكن أن تستوعبه إذا اكتفت عيناك بالنظر افقيا أو تشعلقت الى أعلى . . لكى تستوعب عظمته لابد أن يميل عنقك الى الوراء وكانك تريد أن تقابل السماء بوجهك . .

● تمتلىء نفسك رهبة وإعجابا بالنظر إليه . . ليست رهبة الخوف ، ولكنه الانبهار الذى يمزج الاعجاب بالرهبة . .

. . لست فقط منبهرة بمكانته الاجتماعية المرموقة ، ولكن إنبهارى مبعثه أيضا صفاته . . له صوت رقيق عميق ، مرح جاد . . صوت

له ملمس أسمعه بجلدى فتتحول المسام الى آذان متلهفة يبثها حنان دافىء . .

● حين نتذكر إنسانا فان صورته ترتسم فى مخيلتنا ، ولكننى أتذكره بصورته . . إن صوته هو صورته . . فصوته هو فكره وأحاسيسه . . صوته هو ذكاؤه وطموحه . . صوته هو عظمته . . صوته هو الذى ينقل إلى كلمات حبه . .

● الكلمات لا تنبعث فقط من حنجرته ، وإنما يشارك فى ضعها عيناه ووجهه ويداه . . ولهذا فانا أستطيع أن أراه وأنا مغمضة العينين . . أراه بملمس صوته . . ولهذا فهو لا يفارقنى أبدا . . فانا جزء منه يحتوينى بشخصه . . وبذلك لا يستطيع اى إنسان أو اى ظروف أن تفصل بيننا حتى الموت . . بعد الموت سامضى معه الى العالم ألآخر بفضل توحدى معه ، وإحتوائه لى . . ومن يحتويك يكون هو الأكبر والاقوى والأعظم والارحب . . وهو كذلك فهو اقوى منى واكثر عقلا وحكمة ولهذا فانا بدونه أفقد إدراكى لذاتى . . أفقد معنى وجودى . . تتشتت نفسى ويتبعثر كيانى . . لا أكون كاملة ولا أشعر باكتمالى كانسانه ولا أدرك وجودى الا إذا ظللت بجانبه دائما . .

● هل تصدق انه معى فى كل لحظة وأنا أمارس اى نشاط أو أى حركة خلال يومى . . هو أول من يستقبله عقلى وإحساسى بمجرد أن افتح عينى فى الصباح بعد نوم . . لا أشك انه كان معى خلاله . . اتزين قبل أن أنام تهيؤا للقائه فى احلامى . . أرتدى ثوبا للنوم يروقه . . أغرق فراشى بعطر يحبه . . أمسك بكتاب نلتقى فيه معا بأفكارنا . . كل ليلة كتاب فهذا عشقنا المشترك . . ثم أبدا النوم وهو فى عيونى . . الاغنية التى نحبها أسمعها كل يوم فى سيارتى . . لا أستطيع ان أبدا عملى الا وهو جالس بجانبى . . من أعمل معهم يستطيعون ان يروه بوضوح فى عيونى . .

● أثور فى العمل واهم بمعاقبة المخطىء فينظر الى لكى اصفح فتهدأ

نفس واكافىء المخطىء . . مشاكل ومشاكل فى عملى . . كلها تهون لانه موجود معى . . اعود من عملى مثقلة متعبة لتواجهنى مشاكل اخرى . . ولكن كل شىء اتحمله لأنه فقط موجود معى . .

● أحرز نصرا اومكسبا . . ولكن كل شىء يتضاءل بجانبه . . فهو النصر العظيم والمكسب الكبير . . هو الفرحة . .

● حتى لو تعرضت لكارثة يتضاءل تاثيرها واقول الحمد لله يكفى انه موجود فى حياتى وانا موجودة فى حياته . .

الكارثة الحقيقية أن يكون مريضا او فى ازمة . . حنيئذ تضطرب كل حياتى . . لا استطيع ان اعمل او افكر او اهتم باى احد . . افقد شهيتى واشعر بالام فى كل جسدى . . اذبل كورقة شجرة انتزعوها من فرعها . . تتوقف حياتى كلها حتى يشفى او تفرج ازمته فتعود لى حياتى . . احلم له فى ان يكون اعظم واعظم . .

هو أول من يرى اى فستان جديد ارتديه . . ثم احتفظ به لانه صافح عيونه . . لا اعترف باى فستان الا إذا رآه . . فساتينى تكتسب قيمتها وجمالها من عينيه . .

لا أمل لى فى حياتى الا ان أعيش معه بقية عمرى . . سعادتى الحقيقية معه . . وهو بدونى لا يستطيع أن يعيش سعيدا . .

● ● عند هذا الحد اردت أن اتدخل فسالتها :

— وما الذى يمنع ان تكونا معا . . ؟

● هو . .

— كيف وهو يحبك ؟

● إن تصرفاته متناقضة . . فبالرغم من حبه لى فهو لايريد أن يقابلنى . . يهرب منى . . بل يحاول أن يؤذى مشاعرى . .

— هل هذا معقول وانتما تعيشان هذا الحب الرائع . . ؟

● هذه هى الحقيقة بكل أسف . . ولهذا جئت استشيرك . .

— تستشيرنى فى ماذا . . ؟

● ماذا أفعل معه . . كيف أجعله يعيش معى ويترك تلك السيدة التى تدعى كذبا أنها زوجته وأن لها ثلاثة اطفال منه وتعيش معه فى بيت واحد . .

— من أدراك انه ليس متزوجا . . ؟

● أنا واثقة من ذلك . . هو أعزب لم يتزوج قط . . وهو الذى يشجع هذه السيدة فى ادعائها الكاذب لكى يؤذى مشاعرى . .

— وانت ايضا زوجة ولك اطفال ! !

● سأترك كل شىء من أجله . .

— وإذا رفض ان يتزوجك . .

● سأقتله . . ! !

....

فى هذه اللحظة ادركت انها مريضة . . ويالها من حالة عجيبة يطلقون عليها « ذهان الحب » أو « جنون الحب » . .

....

● بداية لابد ان أؤكد أن عواطف هذه السيدة عميقة وتهيمن على كل قوى ومشاعر روحها منذ اللحظة الأولى . . فهى تحب حقيقة ، ولكن الجزء المرضى هو إعتقادها بانه يحبها . . فهو فى الغالب لم يرها حتى الآن . . وهى ايضا فى الغالب لم تره الا على شاشة التلفزيون أو السينما أو ربما التقت به لقاء عابرا وربما لم يتبادلا فيه أى كلمة . .

● الحالة ليست نادرة الحدوث . . نراها من حين لآخر في العيادة النفسية . . والحالات التى لانراها أكثر وأكثر . . فليس كل هذه الحلات تجد طريقها الى الطبيب النفسى الا في المراحل المتقدمة المتفاقمة أو إذا كان هناك مرض عقلى . . ويكون « ذهان الحب » هو أحد اعراضها بجانب اعراض عقلية أخرى . .

● الحالة عادة تصيب السيدات . . ولكنهاقد تصيب الرجال أيضا ولكن بنسبة قليلة عن النساء . . فكرة خاطئة تسيطر عليها أن رجلا ما وقع في غرامها . . رجل من طبقة اجتماعية أعلى منها وله مكانة اجتماعية مرموقة . . فهو من المشاهير : رجل سياسى أو مذيع تليفزيون أو نجم سينمائى أو كاتب مشهور . . أو شخصية عامة بارزة . . في معظم الاحوال يكون أكبر منها سنا . .

● الحالة تبدأ فجاة . . لايوجد تدرج في الحالة . . وانما تظهر كاملة من البداية . . وتتصور أن الرجل هو الذى وقع في الحب أولا . . وهو الذى بدأ في اقترابه منها . . وهى تعتقد أنه غير متزوج . . وحتى إذا كان متزوجا فانها تنكر هذا الزواج أو تعتقد أنه زواج تمثيلى . .

● تبدأ في أرسال أول خطاب له . . خطاب يؤكد له انها تحبه مثل حبه لها . . وحين لا تتلقى اجابة ترسل خطابا ثانيا وثالثا . . وقد تستمر في ارسال خطاب كل يوم . . ثم تلجأ الى البرقيات . . فاذا لم يستجب تحاول انه تعبر عن عواطفها بارسال الهدايا . . وفي البداية تكون الهدايا في شكل ورود تصله كل يوم الى بيته أو مكان عمله . . ثم ترسل له هدايا بكلل ما تملك . . فاذا كانت حالتها المالية تسمح فإن هذه الهدايا تكون قيمة للغاية وأيضا قد ترسل هدية كل يوم . .

● ثم تبدأ اخطر مراحل الحالة وهى متابعته . .

في البداية تختبىء لتراه وهو يغادر بيته أو عمله . . ثم تمشى خلفه دون أن يراها أو تتابعه بسيارتها . . وقد تتفرغ تماما لمراقبته في كل مكان . . والمتابعة أيضا تكون عن طريق التليفون ، فتحاول أن تتصل

به فى كل مكان يتواجد فيه وفى اى ساعة من ساعات الليل والنهار . . وبذلك تنقلب حياة محبوبها الى جحيم . . فهو يشعر أن هناك متابعة ومراقبة فى كل ساعة . . ويساوره الخوف من هذه الملاحقة العنيفة . . وبالطبع فانه لا يجرؤ على لقائها فى الأماكن التى تحددها فى خطاباتها . . وقد يزجرها فى التليفون . . وهنا تأخذ مطاردتها شكلا أعنف اعتقادا منها أنه يرفض مقابلتها ، لانه لايريد ان يفضح عواطفه أمام الآخرين . . تصف هى سلوكه بأنه متناقض فهو يأخذ مواقف عكس مشاعره الحقيقية . . يهرب منها بالرغم من أنه يحبها . .

● فى بعض مراحل المرض قد تقدم على تصرفات تكشف عن اضطرابها الواضح وانفصالها عن الواقع فتوجه الاهانات له أو لزوجته وأولاده فى التليفون أو تفاجئه بالزيارة فى بيته أو مكان عمله او قد تلجأ لزميل له أو لرئيسه شارحة المشكلة بينهما . .

كما أنه ليس مستبعدا أن تهدد باستعمال العنف ضده أو ضد أسرته ، وذلك حين يعاملها بقسوة . . فيتحول حبها الى كراهية ورغبة فى الانتقام . .

● وطبعا تعيس الرجل الذى يتعرض لمثل هذا الموقف . . فقد تستطيع هى أن تقنع الآخرين بأنه هو الذى بدأ بحبها حتى وقعت فى حبه ، ثم هو الآن يتهرب منها . .

والتصرفات غير المسؤولة التى قد تصدر عنها لا حدود لها . . فقد تركب طائرة لتذهب خلفه الى أى مكان . . وقد تحاول أن تعمل فى المكان الذى يعمل فيه . . وقد تنتقل لتسكن بجواره . . وقد تكتب للصحف أو المسئولين شاكية موقفه منها . .

وقد تظن تباطؤه فى الانتقال للحياة معها بسبب ضائقته المادية فترسل له مبلغا كبيرا من المال أو تذهب الى محام لتتنازل عن كل ممتلكاتها له . .

هذه التصرفات غير المسئولية تصدر عادة إذا كان « ذهان الحب »

يشكل عرضا لمرض عقلى اخر كالبارانويا او الفصام الاضطهادى . .

أما إذا كان « ذهان الحب » موجودا بشكل مستقل ، فإن شخصيتها تكون متماسكة . . ولايبدو عليها اى اضطراب . . ولا يجرؤ احد ان يشك فى قواها العقلية ، فهى تبدو طبيعية فى كل شىء ما عدا هذه الفكرة التى تسيطر عليها . .

● وهو ليس حبا رومانسيا خالصا . . ولكن تكون هناك رغبة فى إقامة علاقة جنسية . . وفى هذه الحالة يجب ان نفرق بين « ذهان الحب » و « الهوس الجنسى » . . فى « ذهان الحب » يكون هناك الاعتقاد الخاطىء بوجود حب متبادل من الطرفين . . أما فى « الهوس الجنسى » لا يوجد الا رغبة مستمرة لاتقاوم فى الممارسة الحنسية غير المسئولة فى اى وقت ومع اى انسان وفى أى مكان بدون وعى يفرض الحرص والحيطة .

● كما يجب التفرقة بين « ذهان الحب » و « الاعجاب » . . فى حالة الاعجاب قد يكون من طرف واحد مع الوعى الكامل عند هذا الطرف أن الطرف الآخر لايبادله نفس الاعجاب ، وحتى إذا كان الاعجاب متبادلا فان كل طرف يدرك ويعى حدود العلاقة . . ويسلك بناء على موقف ومدى استجابة الطرف الآخر . .

فى حالة الاعجاب قد يقول طرف انه يعتقد ان الطرف الآخر يبادله نفس الاعجاب ولكنه غير متاكد . . وهذا يعنى إرتباطه بالواقع . . ولذلك فان سلوكه يكون طبيعيا ولا يقتحم حياة الطرف الآخر او يطارده ، ولكن ربما يحاول أن يتقرب منه باسلوب اجتماعى لائق . . واذا وجد عدم تجاوب من الطرف الآخر فانه يبتعد فى سلام :

وأيضا يجب التفرقة بين « ذهـان الحب » و « الحب الحقيقى » . .

فى الحب الحقيقى يحكى الصوتان معا قصة الحب . . واذا سمعت أحد الصوتين فان صداه يكون مطابقا للصوت الثانى . . هذا ما تعنيه

كلمة « حقيقى » . . . إنه سيمفونية انغامها تصدر من أوتار قلبين وعقلين رغم انفصالهما الشكلى . . فان المعانى التى تصدر عنهما تكون متطابقة فلا تسمع « نشاز » فى سيمفونية الحب . .

وهذا ما تعنيه كلمة « التوحد » أو كلمة « الذوبان » فى الحب . . فالبرغم من أن طرفى « الحب الحقيقى » يحتفظ كل منهما بكيانه المستقل ، الا أن امتازجا قد حدث بين « فكرين » وبين « وجدانين » يحقق لهما معا وعيا وشعورا بان كلا منهما متصل بالأخر . . اتصالا يحقق الفرحة والسعادة والطمأنينة . . وتكون هناك حالة رضى من كل طرف عن هذا الأتصال . .

● لماذا تصاب انسانة بحالة « هوس الحب » ؟ ؟

● لماذا تتوهم ان انسانا قد وقع فى حبها وانها ايضا تحبه . . ؟

● لماذا تعيش قصة حب وهمية تعتقد انها حقيقية ؟

● إذا تعمقنا فى نوعية الانسان الذى تختاره ، فاننا سنجد انه يكبرها سنا ، ثم انه يمثل قيمة اجتماعية مرموقة ومعترفا بها تحظى بالاعجاب والتقدير . . إنها صورة تكاد تقترب من صورة الاب . . الذى نعجب به جميعا فى طفولتنا ونتصوره أحسن الناس واقواهم . . الأب الذى يمثل لنا الحماية وقضاء كل ما نحتاج . . وهو أيضا الاب الذى كبت كل غرائزنا البدائية ، وخاصة فيما يتعلق بموضوع الجنس . . جعلنا نكبتها بالارهاب والتجاهل ، فأصبح لنا تصور فظيع عنها . . ولكن كان هناك دائما الرغبة فى الحصول على ارضاء لغرائزنا ، هذه الرغبة كان يصاحبهاالخوف والاحساس بتانيب الضمير . . ولهذا كانت مشاعرنا تجاه الاب متناقضة : الحب والخوف . .

● ولهذا فهى قد أختارت رجلا يشابه أباها . . رجلا فى مثل مثاليته . . وفى نفس الوقت استطاعت أن تسقط عليه عواطفها ورغباتها الجنسية المكبوته . .

وكأنها تقول :

هذا هو حبيبى (ابى) . . حبيبى (ابى) ذلك الرجل العظيم القوى . . ذلك الرجل (ابى) يحبنى . . ليس هذا فقط بل انه يرغبنى جنسيا . . وهنا تتخلص المريضة من مشاعر الخوف والاحساس بالذنب . . تتخلص من مشاعر الحب والكراهية تجاه ابيها . . فذلك الرجل (الذى يمثل ابوها لاشعوريا) هو الذى بدأ معها . . هو الذى رغبها عاطفيا وجنسيا . . لم تكن هى البادئة . . بل هو البادىء . . لولا انه هو الذى فكر فيها جنسيا لما فكرت فيه هى على هذا النحو . .

. . أى أن أبى الذى اخافنى وجعلنى اكبت غرائزى العاطفية والجنسية رغم رغبتى . . هذا هو اليوم يعرض على الحب والجنس .

● يمكن أن نرى المشكلة من زاوية أخرى . . ايضا زاوية اعمق موجودة على مستوى العقل الباطن . . المشكلة اساسها الحب المفرط للذات . . الحب الذى يعوق إقامة علاقة حب مع أى إنسان آخر . . ولان هذا غير مقبول ، فان هذا الحب للذات لابد من انكاره أو اسقاطه على شخص آخر . . شخص له اهمية . . شخص اكثر منها عقلا وحكمة . . هذا الشخص يحبها بدلا من أن تحب هى ذاتها اى هو يمثل حبها لذاتها . . ولذا فهى تطارده لكى يثبت ذلك لها . . إذا اظهر العكس فهذا يحطمها . . إنه يكشفها على حقيقتها . . يكشف حبها لذاتها . .

عالم النفس فرويد له راى آخر . . هو يرى ان « ذهان الحب » هو اسلوب دفاعى عن رغبة لا شعورية فى نفس الجنس . .

هى ترغب فى نفس الجنس ولا ترغب فى الرجال . . ولذلك يجب ان تنفى هذا من خلال علاقة عاطفية جنسية بطرف من الجنس الآخر ، وبذلك تشعر انها سوية . .

وكأنها تقول . . هذا الرجل يحبنى . . هذا معناه انه لا يرانى كشاذة . . انه يرانى طبيعية والا لما رغب فى . . وانا كذلك احبه . . وهذا يؤكد ميولى الطبيعية . .



والمعادلة الفرويدية تقرا كالآتى كما تنطقها المريضة .

أنا أحب الأنثى لا . . أنا لا أحب الأنثى بل أنا أحب هذا الرجل لأنه يحبنى . .

وبذلك تستطيع ان تتخلص من مشاعر الجنسية المثلية واحلت محلها مشاعر طبيعية تجاه رجل أحبها فاحبته . .

....

● أى التفسيرات نصدق . . ؟ هل اعتقادنا فى احدى التفسيرات يلغى الباقى . . ؟ أم أن لكل حالة ظروفها الخاصة التى تنطبق عليها أى من هذه التفسيرات . .

● أم ان كل هذه التفسيرات خاطئة . . وان « ذهان الحب » يحدث نتيجة لاضطراب كميائى فى المخ ، مثل بقية الامراض العقلية التى اصبحنا نعرف الآن أسبابها الكميائية فى المخ . . وبذلك اصبحنا اقدر على معالجتها بالعقاقير . . ؟

العلم عند الله . .

● ● ● ●

● ● وختـــاما

● رغم الستة عشر عاما فى هذه المهنة . . ورغم معايشتى لآلاف المرضى ، فانني اقف مندهشا امام كل حالة جديدة . . ياسبحان الله . . كيف . . ولماذا . . اختلف هذا الانسان عن كل خلق الله ! ! ماذا اصاب تفكيره . . ؟ ماذا اصاب وجدانه . . ؟

ماذا أصاب كمياء مخه أو خلاياه . . ؟ وكيف . . ؟ كيف حدثت الاصابة . . ؟ أهو قدر مكتوب . . ؟ قدره هو بالذات . . ولماذا هو بالذات . . ؟ انها نفس الحيرة التى اشعر بها حين اوى طفلا اصيب بشلل الأطفال . . وهى نفس الحيرة التى اشعر بها حين اقرأ عن إنسان سقط فوق رأسه حجر من مبنى القاه شخص مستهتر فاصابه بعجز أو افقده حياته . .

● واهرع الى مراجعى لأ قرأها للمرة المائة بعد الألف . . وفى معظم الأحيان لا تشفى غليلى ولا تبدد حيرتى . . والغريب والعجيب اننى لا أجد فيها كل الاعراض التى أراها فى مرضاى . . فكل حالة اعايشها فريدة . . فريدة فى بعض اعراضها . . فريدة فى البيئة التى عاشت فيها . . فريدة فى الضغوط التى تعرضت لها . . نادرا ما يوجد تطابق بين مريضين يعانيان من نفس الحالة . .

● واحاول ان أستوعب قدر الألم الذى تعانيه . . أحاول النفاذ الى وجدانها لأرى بعينى قدر انصهاره ولعلى أحظى ببعض اللظى الذى يشع من النيران المستعرة بداخلها . . ولكن هيهات أن أظفر باكثر من ذرة ألم من بركان الآلام . .

● ولان البركان غـائر فى الاعمـاق ، فمن الصعب الاقتراب . . حتى صاحب المشكلة والذى يحتفظ بالبركان فى داخله ، فانه لا يعى محتوياته ، ولا يستطيع ان يتوقع فى اى وقت سيقذف بحممه المتلهبة . . عليه فقط ان يحترق وان يتعذب . . ولكن لماذا ؟ والى متى ؟ . . انه لا يعرف . .

● يسمونه العقل الباطن أو اللاشعور . . والوصول اليه صعب وصعب . . وهو يحتوى على الرغبات المكبوته والدوافع المرفوضة والمشاعر الغاضبة والاحتياجات التى لم تلب . . كلها تظل مدفونه ولكنها تغلى وتزأر . . كالجمرات التى تظل متقدة تحت التراب . .

....

ثم تهب رياح غير طيبة فتفك قيود الكبت وتكتسح التراب من فوق الجمرات . . فتقفز كرات النار الى العقل الواعى لتلهبه وتكويه . . اى تظهر أعراض المرض . . فتشعر برغبة قهرية لأن تسرق شيئا تافها لاتحتاجه وتستطيع شراءه دون جهد . . أو تعشق انسانا لا يعرف عنها شيئا وتعتقد عن يقين بانه يبادلها الحب . . أو ترى نفسها مشوهة او تتعمد ايذاء نفسها وتحطيمها ، فتمتنع عن الطعام او تبالغ فيه ، او تنزع شعر رأسها أو تجرح وجهها .

● تقفز كرات النار من العقل الباطن الى العقل الواعى فتحطم احساس الانسان بذاته ، فيندهش لها أو ينكرها تماما وتصبح عدما . . أو تشوه ادراكه العالمه الخارجى ليدركه كعالم غريب معزول عنه بتفكيره ووجداته . . أو تزيف له هذا العالم فيعتقد ان اقرب الناس اليه خائنة آثمة ، أو تعتقد ان أقرب الناس اليها قد إستبدل بانسان آخر . .

يا لها من أعراض . .

● أى احتياجات ورغبات ومشاعر تلك التى لم تلب ولم تاخذ حقها من الارضاء فوئدت وكبتت ولكنها ظلت كالاسد السجين الذى سلبت حريته فظل يبحث عن مخرج حتى استطاع ان يحطم قضبانه بانيابه ، حتى إذا انطلق غرس هذه الانياب فى جسد سجانه . .

● أى إحتياجات ورغبات ومشاعر تلك . . ؟ ؟

● إنه الاحتياج للحب المفقود والرغبة فى الحصول على اعتراف الآخرين الذين اعطوه ظهورهم وانكروه ، فتكونت لديه مشاعر الكراهية والغضب وعدم الثقة . . تولدت لديه مشاعر العدوان وما ينتج عنها من مشاعر الاحساس بالذنب . . خليط عجيب من المتناقضات والصراعات تظل تغلى فى موقد العقل الباطن الذى يمنعها من الانسكاب حتى تأتى لحظة ضعف فينكسر الاناء أو ينزاح غطاؤه من قوة الدفع . . تماما مثلما ينفجر بركان . .

● وهل يمكن إصلاح ما أفسده الدهر . . ؟

● هناك أولا وأخيرا الأمل فى رحمة الله بعباده . . رحمة الله بمرضانا . . ورحمة الله التى تنزل فى القلوب التى تحيط بهؤلاء المرضى . . وحين ترق القلوب وتملأها الرحمة تصبح العقول قادرة على التفهم . . وحين نفهم مريضنا ونشعر به فاننا نبعث فى نفسه بعض الطمانينة . . فننتشله من عزلته . . نمنحه الحب الذى فقده والأعتراف الذى حرم منه . . ثم يبقى ثمة أمل فى العقاقير والعلاج النفسى . .

● د . عادل صادق

استاذ الأمراض النفسية والعصبية
بجامعة عين شمس

● المحتويات ●

ص

● مؤلف هذا الكتاب ٣

● مقــدمـة ٥

● الفصل الأول : اختلال « الأنية »..................... ٩

عندما يفقد الانسان نفسه

● الفصل الثانى : اختلاف الواقع » ١٩

عندما يبتلع البحر قرص الشمس

● الفصل الثالث : « الرؤية السابقة » ٢٥

اسمها . . خداع الأحاسيس !

● الفصل الرابع : مخاوف اختلال الشكل ٣١

وتتوقف الحياة . . عند هذه المشكلة

● الفصل الخامس : الرؤية الثنائية للذات ٣٩

وجها لوجه مع المهاجمين من السماء !

● الفصل السادس : العدمية ٤٧

ذراعة المبتورة عادت إلى مكانها !

● الفصل السابع : الغيرة المرضية ٥٥

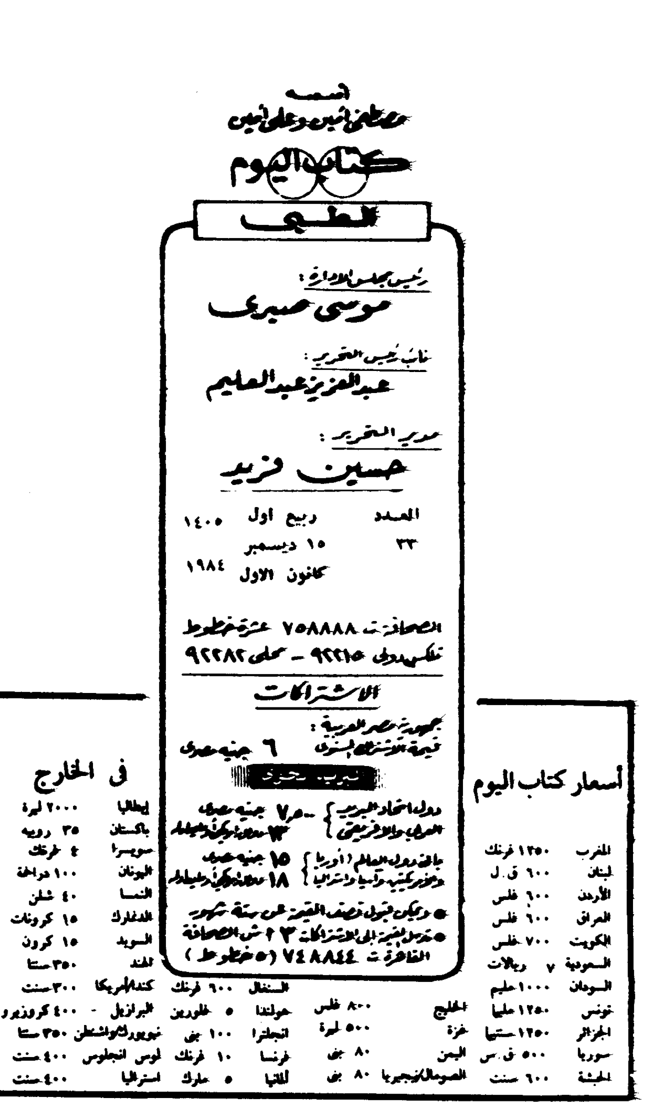
البحث عن علاج لجروح النفس !

● الفصل الثامن : القمار ٦٩

عندما أدمن أدم اللعبة !

● الفصل التاسع : فقدان الشهية العصبى ٧٩
البطولة المرضية !
● الفصل العاشر : السمنة ٨٧
انتحار لا شعورى !
● الفصل الحادى عشر : هوس نزع الشعر ٩٧
جميلة .. ولكنها تناصب نفسها العداء !
● الفصل الفصل الثانى عشر : هوس السرقة ١٠٧
أرجوك .. احمنى من نفسى !
● الفصل الثالث عشر : هذاء الثنائية ١١٩
يدعى أنه زوجى .. وأمى تصدقه !
● الفصل الرابع عشر : شبه العتة الهستيرى ١٢٩
اجازة من الواقع المؤلم !
● الفصل الأخـــير : هوس الحب ١٤١
تمتلىء نفسك رهبة واعجابا بالنظر اليه !
● الفصل الختام (.. وختاما) ١٥٣

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٤/٧٠٦٠
الترقيم الدولى ٧ - ٠٨٩ - ١٢٤ - ٩٧٧ - ISBN



أسسه
مصطفى أمين وعلى أمين

كتاب اليوم

الطبى

رئيس مجلس الإدارة :
موسى صبرى

نائب رئيس التحرير :
عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :
حسين فريد

العدد ٣٣ — ربيع اول ١٤٠٥ — ١٥ ديسمبر — كانون الاول ١٩٨٤

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية :
قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والافريقى { ٧٫٠٠ جنيه مصرى / ١٣ دولارا امريكيا أو ما يعادلها

باقى دول العالم (أوربا وأمريكا وآسيا واستراليا) { ١٥ جنيه مصرى / ١٨ دولارا امريكيا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● تحول القيمة الى الاشتراكات ٢٤ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار كتاب اليوم

المغرب	١٢٥٠ فرنك
لبنان	٦٠٠ ق.ل
الأردن	٦٠٠ فلس
العراق	٦٠٠ فلس
الكويت	٧٠٠ فلس
السعودية	٧ ريالات
السودان	١٠٠٠ مليم
تونس	١٢٥٠ مليما
الجزائر	١٢٥٠ سنتيما
سوريا	٥٠٠ ق.س
الحبشة	٦٠٠ سنت
الخليج	٨٠٠ فلس
غزة	٥٠٠ ليرة
اليمن	٨٠ بنى
الصومال/نيجيريا	٨٠ بنى

فى الخارج

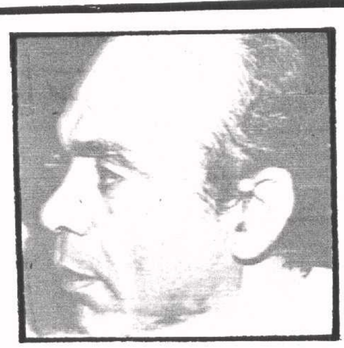
السنغال	٦٠٠ فرنك
هولندا	٥ فلورين
انجلترا	١٠٠ بنى
فرنسا	١٠ فرنك
ألمانيا	٥ مارك
إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة
باكستان	٣٥ روبيه
سويسرا	٤ فرنك
اليونان	١٠٠ دراخمة
النمسا	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونات
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥٠ سنتا
كندا/أمريكا	٣٠٠ سنت
البرازيل	٤٠٠ كروزيرو
نيويورك/واشنطن	٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠ سنت
استراليا	٤٠٠ سنت


كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم
يستهل العام الجديد
برواية من واقع حياتنا المعاصرة
قصر
على النيل
للكاتب الكبير
ثروت أباظة



الجهاز الهضمى .. تحت الأضواء

معجزة عصر المناظير الضوئية



دكتور مصطفى المنيلاوى

استشارى للطب الباطنى والجهاز الهضمى
استاذ بالأكاديمية الطبية والعسكرية ومستشفى المعادى

ترقب صدوره